محمود شلبي

تفسير جزء عم

دار المعرفة

تفسير جزء عم

للإمام الرباني الكبير

نعمة الله محمود

سنة ٩٢٠ هجرية - سنة ١٥٠٠ ميلادية

تحقيق

محمود شلبي

دار المعرفة

للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

الطبعة الثانية

١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين . . .

والصلاة والسلام . . . على إمام المرسلين . . .

وبعد . . .

لم يخطر على قلبي . . . يوماً ما . . . أن أنال شرف . . . تقديم ذلك الكتاب . . .

ولكن الله تعالى . . . قد شاء . . . ومتى شاء سبحانه . . . فالأمر ما شاء ! ! !

فاللهم شكراً . . . ثم شكراً . . . ثم شكراً . . .

وفي رأيي . . . أن هذا التفسير . . . لجزء من أجزاء كتاب الله المجيد . . . « جزء عمّ » . . .

سيكون . . . إن شاء الله تعالى . . . مفاجأة تامة . . .

لمن كان له قلبٌ . . . أو ألقى السمع وهو شهيد . . .

بأن صاحبه . . . يتلألأ . . . من مقام رفيع . . .

سوف يبدو عجيبا . . . للجميع ! ! !

سوف يقولون : يا أيها المفسر . . . أنّى لكَ هَذَا ؟ !

وسوف أجيبهم . . . نيابة عن المؤلف الخالد . . .

هُوَ مِنْ عِنـدِ اللهِ . . . إنّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بغَيْرِ حسابٍ ! ! !

رجل عجيب ! ! !

آتاه الله مِن لَدُنه عِلما . . .

ليس علم . . . « قيل وقال » . . .

ولـكنه « الـكشف » . . . ! ! !

والـكشف أعلى علالى العلوم ! ! !

فإن كنت فى شكٍّ مما أقول عن الرجل . . .

فها هو تفسير « جزء عمّ » . . .

نقدمه إليك ... كأنموذج ... من عجائب ... ذلك الرجل ..

إقرأ ... ما شئت ... من مواضعه ... وسوف تجد نفسك
أمام بحر من النور ... يموج بالحقائق العليا موجاً عظيما ! ! !

ولا أطيل عليك ...

وإنما أدعك تدخل التجربة بنفسك ...

وأسأله تعالى ... أن يمنحنا من لدنه نوراً ... فنبصر من الكتاب
ما ينبغي أن نبصر ؟

محمود شلبي

من هو المؤلف ؟

هو الإمام[1] ... الهمام ... مهبط العلم اللدنى ... ومورد الإلهام ... العارف الربانى ... نعمة الله بن محمود النخجوانى ...

ولد ببلدة (نخجوان) من بلاد آذربيجان ...

وكان منذ صباه ... متوقد الذكاء والحدس ... محدث الروع والنفس ...

فأخذ يتبحر فى العلوم الدينية النافعة ... على أئمة المائة التاسعة

ولم يكد يشب ، حتى تصدر فى صفوفهم ، ثم قُوِّم بألوفهم

وبعد أن جمع علوم الشرائع ، واستخرج منها حقائق البدائع

حبب الله إليه التخلى والانزواء ... استشرافاً لعلوم الأولياء ... من مطالع الفقر والفناء ...

فأصبح بحراً موروداً للطالبين المتعطشين ، وملاذاً آمناً للسالكين ...

---

(١) من مقدمة تفسيره

مذهبه وطريقته ؟!

كان كاملا فى علمى الفروع والأصول . . . جامعاً بين المعقول والمنقول . . . مقلداً فى ذلك مذهب أقدم الأئمة . . . سراج الأمة . . . الإمام أبى حنيفة النعمان . . .

سالكا فى أثناء طلبه الالتحاق بأهل الكشف والتحقيق . . .

وأما آثاره . . . فكل ما وجد منها فإنما هو فى علم التصوف والتفسير . . .

إلا أن الذى يتدبر يقدر فى أثناء مطالعتها مقدار تضلعه فى سائر العلوم

ويعترف له علو مرتقاه . . . فى معارج الأسرار ودقائق الفهوم . . . فإن إتقان هذين العلمين يتوقف على كلا الأمرين

ومن أجلّ ما اشتهر من آثاره . . هـــذا التفسير المسمى بـ « الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية » . . .

وهو أجل ما اشتهر من آثاره . . .

وقد كتبه بدون مراجعة إلى كتب التفاسير

وضمنه ما أودع الله قلبه . . . من الفرائد الدقائق . . . وكاشفه من سانحات الحقائق

جامعاً فيه بين الظاهر والباطن ...

كلاً فى موقعه، بحسب اقتضاء موضعه ...

مطابقاً لإشارات الآثار، الواردة من النبي المختار

وقد نهج فيه نهج القرآن من قصد الظاهر تارة، والباطن أخرى ...

ومزج بعد ذلك كل آية بأفصح العبارات ... وأبلغ المعانى فى تفسيرها ...

حتى غدت الآيات لاتساقها بها ... كأزهار فى غصون أشجارها

متى فرغ من تأليفه ؟!

وفرغ من تأليفه ... فى أواسط شهر رمضان ... من سنة ٩٠٢ اثنتين وتسعمائة هجرية[1] ...

وفى أواسط شعبان سنة ٩٠٤ ... خرج من تبريز متوجهاً إلى البلاد الرومية ... فوصلها فى سنة ٩٠٥ ... وأقام فى مدينة (أقشهر) وقطن بها ... يفيد ويبث العلوم فى صدور الرجال ...

---

(١) أى سنة ١٤٨٢ ميلادية ... ومعنى هذا أن هـذا التفسير ألف منذ ٥٠٠ سنة تقريباً، ومع هذا ما زال يتلألأ بأنواره الزاهية كأنه كتب اليوم!

ويرشد الناس إلى جناب القدس الرب المتعال ... مع الزهد والعبادة ...

إلى أن ارتحل إلى دار البقاء فى سنة ٩٢٠ من الهجرة .

* * *

هذا شىء مما قيل عن الرجل ... فى مقدمة تفسيره الخالد ...

وقد قالوا فى تعريف شخصيته هو : « الولىّ ، الكامل ، المحقق ، العارف ، المكاشف ، المدقق ، العالم ، الربانى ... »

وقد كنت أظن أن هذه الأوصاف مبالغات مألوفة من الناشرين ... تشويقاً للقارئين ...

حتى أوغلت فى تفسير الرجل ... وتلألأت أمامى ... عجائب علمه ...

فتأكدت أنه كذلك حقاً وصدقاً ... وأنه يغرف من بحار لدنية ...

محمود شلبى

سورة النبأ

مكّيّة — وآياتها ٤٠ — نزلت بعد المعارج

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

« بِسْمِ اللهِ » الذى ظهر على عموم ما ظهر ، وبطن حسب النشأتين

« الرَّحْمٰنِ » للكل ، حسب النشأة الأولى

« الرَّحِيمِ » لخواص عباده ، حسب النشأة الأخرى

— ١ —

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ

« عَمَّ » أى : عن ما . . . وعن أى شأن وأمر ؟

« يَتَسَاءَلُونَ » ويتقاولون فيما بينهم ، مِراءً ، ومجادلة

— ٢ و ٣ —

عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ . الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ .

أى : هم يختلفون ، فى قيام الساعة الموعودة ، لتنقيد أعمال العباد والجزاء عليهم ، على وفقها

مع أن أمره أظهر من أن يشك فيه ، ويسأل عنه ، ويستهزأ به ، ويختلف فيه ، وفى وقوعه !

فلأى شأن ، وأمر ، يختلفون ، ويترددون . . . أولئك المسرفون المترددون ؟ !

— ٤ —

كَلّا سَيَعْلَمُونَ .

« كَلّا » وحاشا . . .

من أين يتأتى لهم إنكاره ، والتسأل فيه ، والتقاول فى شأنه ، على وجه المراء ، مع أنهم . . .

« سَيَعْلَمُونَ » عن قريب قيامه ووقوعه

بل قربه أقرب إليهم مع رجع الطرف ، ولمح البصر ، بل هو أقرب

— ٥ —

ثُمَّ كَلّا سَيَعْلَمُونَ .

حين ينزل عليهم بغتة وهم لا يشعرون .

وبالجملة : من أين يتأتى لهم إنكار يوم البعث والجزاء ؟

هل ينكرون قدرتنا الكاملة على أمثاله ؟

— ٦ —

أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً .

لهم . . . ممهدة ينتشرون عليها ، ويستريحون فيها ؟

— ٧ —

وَالجِبَالَ أَوْتَاداً .

« وَ » نجعل

« الجِبَالَ » عليها

« أَوْتَاداً » تقريراً لها وتثبيتاً

— ٨ —

وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا .

« وَخَلَقْنَاكُمْ » أى : قدرنا أشباحكم أيها المكلفون

« أَزْوَاجاً » أصنافاً . . . ذكراً وأنثى . . . لتتآنسوا وتتناسلوا

— ٩ —

وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا .

« وجَعَلْنا نَوْمَكُمْ » فى خلال الليالى

« سُباتاً » انقطاعاً عن الإحساس ، والحركة ، ليحصل إرخاء الأعصاب ، والفضلات ، لتستريحوا بسببه ، ويزول كلال القوى وفتورها

فتستمد بالاستراحة ، وتشتغل بأفعالها فى النهار ، بجرأة تامة ، وقوة كاملة .

— ١٠ —

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً .

« وَ » بالجملة قد

« جَعَلْنَا اللَّيْلَ » لكم

« لباسا » غطاء ، وغشاء تستترون فيه ، وتختفون به ، فيما فيه إخفاء مطلوبكم

— ١١ —

وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا .

لكم ... وقتاً تطلبون فيه ما تعيشون به من حوائجكم ، ومطعوماتكم ، وملبوساتكم

— ١٢ —

وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَاداً .

« وَ » كذا قد

« بَنَيْنَا » بكمال قدرتنا ومتانة حكمتنا

« فَوْقَكُمْ سَبْعاً » طباقا

« شداداً » أقوياء ، محكمات ، مستحكمات ، لا يتأثرن بمر الدهور وكر الأعصار ، كسائر الأبنية

— ١٣ —

وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا .

« وَجَعَلْنَا » فى خلالها

« سِرَاجاً » مضيأً متلألأً متشعشعا

« وهّاجاً » حاراً ، سخيناً ، فى غاية السخونة عند الانعكاس ، لتنضيج ما تحتاجون إليه فى أمور معاشكم

— ١٤ —

وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا .

« وأنزَلْنَا » أيضا . . . تتميما لتربيتكم ، وتربية معيشتكم

« مِنَ » السحب

« الْمُعْصِرَاتِ » بالرياح

« مَاءً ثَجّاجا » مطراً كثير الانصباب متتالى القطر

— ١٥ —

لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا .

« لنخرج به » أى : بالماء الماطر

« حبا » تقتاتون به

« ونباتا » تعتلف بها مواشيكم

— ١٦ —

وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا .

« وجنات » متنزهات لكم ، وبساتين

« ألفافا » أشجارها ، وثمارها ، من كثرتها وكثافتها

كل ذلك من المقدورات التى يتفطن منها العاقل المنصف ، على وقوع الحشر والنشر ، من الأمور الغيبية ، الموعودة فى يوم الجزاء بل جميع المقدورات الداخلة تحت قبضة القدرة الإلهية ، إذ نسبة القدرة الكاملة الإلهية إلى هذه المقدورات وأمثالها . . . بل إلى أضعافها وآلافها . . . وكذا إلى الأمور الموعودة فيها على السواء

والإرادة الكاملة الإلهية ، ترجح كلا منها ، عند حلول ما قدر الله له من الوقت والأجل (١)

---

(١) هذه لفتة لا تصدر إلا عن قلب آتاه الله علما من لدنه . . . فقوله =

وبالجملة من ترقى إدراكه ، عن مضيق الإلف

وخرق حجب الرسوم والعادات

وخلص عن ظلمات الأوهام والخيالات العائقة عن الوصول . . .

قد انكشف له ، ولاح عنده أن أمرى النشأة الأولى والأخرى وأمثالهما ، بل أضعافهما وآلافهما ، فى جنب القدرة الغالبة الإلهية ، سهل يسير ! !

لكن المحجوب ، المحبوس فى عالم المحسوس ، المقيد بعقال العقل ، المبهوت المشوب بالوهم المنحوس ، والخيال المزور المنكوس

قد يتخيل حصر المظاهر والمجالى الإلهية ، بما لمع له من سراب عالم الطبيعة . . .

لذلك وقع فيما وقع من البلوى ، وزلت قدمه فى سبيل القرب من المولى . . . ثم قال سبحانه :

= « عند حلول ما قدر الله له من الوقت والأجل » يدل على أن قوله تعالى « كن فيكون » ليس معناه أن الشىء يكون فى لحظة كما يفهم كثير من الذين لم يؤتوا فهم أعماق الحقائق . . . وإنما يكون الشىء فى الوقت والزمان الذى قدر الله تعالى أن يكون فيه . . . كما قال عن آدم « خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » . . . فكان آدم فى زمان قدره الله تقديراً ، وحدده تحديداً . . . وكذلك شأن الكائنات جميعاً ! ! !

— ١٧ —

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا .

« إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ » الفارق بين أصحاب الحيرة والضلال ، وأرباب العناية والوصال ، قد . . .

« كَانَ » له

« مِيقَاتًا » وقتا معينا فى حضرة علم الله . . . مقدراً فى لوح قضائه . . . لم يطلع أحداً عليه ، وعلى تعيينه . . . بل أخبرهم بأماراته وعلاماته

اذكر يا أكمل الرسل . . .

— ١٨ —

يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا .

« يَوْمَ » أى : يوم إذ حل فيه وقت الفصل ، وقيام الساعة ، وحينئذ

« يُنفَخُ فى الصُّورِ » النفخة الأولى ، لبعث الموتى . . . وإذا وصل لهم ذلك النداء . . . فيخرجون من قبورهم حيارى وسكارى مبهوتين . . . ثم ينفخ فيه ثانيا للحشر

« فتأتون » المحشر

« أفواجا » فِرَقا فِرَقا ... وزُمَراً زُمَراً

— ١٩ —

وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا .

« وفُتِحَتِ السَّماءُ » أى : قد خرقت ، وشقت ، يومئذ ...

« فَكَانَتْ » الخرق ، والشقوق لها ... « أبْوَابا »

— ٢٠ —

وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا .

« وَسُيِّرَت الْجِبَالُ » أى : قلعت عن وجه الأرض ، وتحركت ... فطارت أجزاؤها كالهباء ، نحو الهواء

« فكانت » أشكالها ، وهيآتها

« سرابا » أى : كالسراب ، يلمع ويرى على صورة الجبال ، ولا حقيقة لها كما هى الآن كذلك ، عند العارف ، المكاشف بحقيقتها(١)

وبالجملة ...

---

(١) من هنا ... يعرف الرجل ... إنه رجل « عارف ... مكاشف » ... إنه على نور من ربه ... وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء !

— ٢١ —

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا .

« إنَّ جَهَنَّمَ » يومئذ قد

« كَانَتْ مِرْصَادًا » مرصداً ، ومعبراً ، لعموم العباد

يعبر منها أهل الجنة ، على تفاوت طبقاتهم ، سرعة وبطأ

مترتبين على تفاوت أعمالهم ، وأحوالهم ، ومواجيدهم ، ومقاماتهم

ومنهم من لا يلتفت نحوها ، ولا يدركها أين هى ، وإن عبرها !

ومنهم من يعبرها كالبرق الخاطف

ثم الأمثل فالأمثل (١)

فينجون من غوائلها

فيسقط فيها أهل النار ، ويغلون بأغلالها ، وسلاسلها ، فتصير . . .

— ٢٢ —

لِلطَّاغِينَ مَآبًا .

« للطاغين » المصرين على طغيانهم وكفرهم

---

(١) تأمل . . . المستوى الرفيع . . . الذى يتلألأ فيه الرجل ؟ !
إنه يجوس خلال المعارف الإلهية . . . كأنما يتنقل فى حديقة . . . يقطف منها ما يشاء من الأزاهير !!!

« مآبًا » مرجعًا ، ومأوى ... لا يخرجون منها أصلا ...
بل يكونون ...

— ٢٣ —

لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا .

« لابثين » ماكثين

« فيها أحقابا » وأى أحقاب ؟ ! ... أحقابا لا كأحقاب الدنيا ، بل لا نهاية لها ، ولا غاية لحدها، فذكرها كناية عن عدم التناهى ... وهم

— ٢٤ —

لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا .

« لا يذوقون فيها » فى جهنم البعد ، وسعير الحرمان

« برداً » لحرمانهم عن لذة برد اليقين فى النشأة الأولى

« ولا شرابا » لأنهم لم يشربوا فى النشأة الأولى من زلال الإيمان شربة ، ولا من رحيق التحقيق والعرفان جرعة

لذلك ما يشربون فى النشأة الأخرى ...

— ٢٥ —

إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا .

« إلا حميما » ماء حاراً ، يسخن بنيران غضبهم وشهواتهم ، بحيث يقطع أمعاءهم من شدة حرارته

« وغساقا » صديداً ، سائلا من جراحات أهل النار

بدل ما كانوا يأكلون ويشربون من أموال اليتامى والمظلومين، ظالما وعدوانا

وبالجملة قد جوزوا فيها ...

— ٢٦ —

جَزَاءً وِفَاقًا .

موافقا ، مطابقا ، لأعمالهم التى قد أتوا بها ، فى دار الدنيا ، وبالجملة ...

— ٢٧ —

إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا .

« إنهم كانوا » حين يمموا المعاصى ، وعزموا على الآثام

« لا يرجون » ولا يأملون

« حسابا » ولا يخافون عذابا

— ٢٨ —

وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا .

« و » لهذا قد

« كذبوا بآياتنا » الدالة على كمال قدرتنا واقتدارنا ، على وجوه الإنعام والانتقام ، وعلى رسلنا المنزلة إليهم تلك الآيات

« كذابا » تكذيبا بليغا ، وإنكاراً شديداً ، بحيث كانوا يستهزئون بالآيات ، والرسل ، مكابرة وعناداً

— ٢٩ —

وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا .

يعني : وهم وإن بالغوا في التكذيب والعناد ... قد فصلنا نحن أعمالهم ، وأخلاقهم ، وجميع خصائلهم المذمومة ، على صحف أعمالهم ، التي سيحاسبون عليها على التفصيل ، ويجازون بمقتضاها

وبعد ما يحاسبون ويؤاخذون ، يقال لهم زجراً عليهم وتوبيخا :

— ٣٠ —

فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا .

« فذوقوا » أيها المسرفون المفرطون

« فلن نزيدكم » بأعمالكم وتكذيبكم

« إلا عذابا » فوق العذاب .

فى الحديث صلوات الله على قائله : هذه الآية أشد ما فى القرآن على أهل النار .

ثم أردف سبحانه بوعيدهم ، وعد المؤمنين ، تشديداً لعذابهم[1] ، وتأكيداً ، فقال :

— ٣١ —

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً .

« إن للمتقين » الحافظين نفوسهم عن محارم الله ، خوفا من عذاب الله ، ورجاء من فضله

« مفازاً » مخلصا ، ومنجاة ، من جميع المكاره ، اللاحقة للكفار والعصاة فى النار

— ٣٢ —

حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا .

« حدائق » ذات بهجة وبهاء ، ونضارة ونزاهة

« وأعنابا » معروشات

---

(١) يعنى تشديداً لعذاب أهل النار

— ٣٣ —

وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا .

« و » إن لهم فيها أزواجاً

« كواعب » نواهد ، قد استدارت ثديهن مثل الرمان

« أترابا » أبكاراً ، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان

— ٣٤ —

وَكَأْسًا دِهَاقًا .

« وكأسا » من خمور المحبة الإلهية

« دهاقا » ملآنا . . . وهم . . .

— ٣٥ —

لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا .

« لا يسمعون فيها » أى : فى الجنة ، عند شرب خمور المحبة

« لغواً » فضولا من الكلام

« ولا كذابا » أى : مكاذبة ، يكذب بعضهم بعضا . . . كما يقع

بين شاربى شراب الدنيا

وإنما يجازون بما يجازون . . .

— ٣٦ —

جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا .

« جزاء » ناشئا

« من ربك » يا أكمل الرسل

« عطاء » من لدنه ، تفضلا عليهم وإحسانا ، إذ لا يجب عليه سبحانه شيء

« حسابا » كافيا ، وافيا ، لا ينتقصون ، ولا ينتظرون

وكيف لا يتفضل سبحانه على أوليائه مع أنه . . .

— ٣٧ —

رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا .

« رب السماوات والأرض » أى : مربى ، العلويات والسفليات

« وما بينهما » من الممتزجات . . . لا مربى لها سواه

« الرحمن » المستوى على عروش عموم المظاهر ، بالرحمة العامة ، والاستيلاء التام ، والسلطنة القاهرة ، والبسطة الغالبة ، بالإرادة ، والاختيار ، بحيث . . .

« لا يملكون » ولا يقدرون . . . أى : أهل السماوات والأرض

« منه » سبحانه

« خطابا » أى : لا يسعهم أن يخاطبوه ، ويطلبوا منه شيئاً ، من زيادة ثواب ، أو نقص عقاب . . . بل هو بذاته فعـــــال ، لـكل ما يريد ، من مقتضيات أسمائه وصفاته ، بالإرادة والاختيار . . لا يسأل عن فعله ، إنه حكيم حميد

وكيف يملـكون ويقدرون على خطابه سبحانه ، هؤلاء الهلـكى ، فى حدود ذواتهم ؟ ! مع أنه . . .

— ٣٨ —

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِـكَةُ صَفًّا لَا يَتَـكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا .

« يوم يقوم الروح » المطلق

« والملائـكة » أى : حوامل الأسماء ، والصفات الإلهية ، المجردات ، المنفصلات ، عن التعلقات المادية مطلقا

« صفا » صافين ، مصطفين ، ساكتين ، صامتين ، من كمال دهشتهم ، عن سطوة سلطنة الذات ، القاهرة ، الغالبة ، بحيث . . .

« لا يتـكلمون » حينئـذ ، ولا يقدرون على التفوه ، بالحال ، أو المقال

« إلا من أذن له الرحمن » بالشفاعة ، والسؤال ، فتكلم بإذنه

« وقال صوابا » مرضيا ، عند الله مستجابا . . .

وبالجملة . . .

— ٣٩ —

ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا .

« ذلك اليوم » أى : يوم الفصل ، والقيامة ، هو اليوم . . .

« الحق » الثابت ، الكائن وقوعه ، بلا خلف ، ولا ريب

« فمن شاء » أن يأمن من فتنته ، ويخلص من عذابه

« اتخذ » وأخذ فى النشأة الأولى

« إلى ربه مآباً » مرجعاً ، ومنقلبا ، يتوجه إليه ، ويتحنن نحوه ، متقرباً بصوالح الأعمال ، ومحاسن الشيم والأخلاق والأطوار . . .

وبالجملة . . .

— ٤٠ —

إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا .

« إنا أنذرناكم » أيها المعرضون عن الله ، المنصرفون عن طاعته وعبادته مطلقا

« عذابا قريبا » غريبا ، فجيعاً ، فظيعاً . . . سيلحقكم بغتة وأنتم لا تشعرون بأماراته ومقدماته

اذكروا الأحوال والأفزاع الطارئة لكم . . .

« يوم ينظر المرء » ويرى جميع . . .

« ما قدمت يداه » خيراً كان أو شراً ، نفعاً كان أو ضراً

« و » بعد ما قد رأى الكل يومئذ ما رأى ، من الصوالح والقبائح ، الصادرة عنه ، الجارية عليه . . .

« يقول الكافر » الرائي قبائح أفعاله ، وفواسد أعماله ، متأسفا متحسراً ، متمنيا هلاكه ، على سبيل المبالغة . . .

« يا ليتني كنت ترابا » لم أخلق ، ولم أكلف حتى لا أستحق هذا الويل والثبور .

سورة النازعات

مكية — وآياتها ٤٦ — نزلت بعد النبأ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ .

« بسم الله » المقدر ، المدبر لأمور عباده ، حسب ما اقتضته الحكمة والمصلحة

« الرحمن » عليهم فى النشأة الأولى ، ينبههم عن سنة الغفلة

« الرحيم » فى النشأة الأخرى ، يخلصهم عن سجن الطبيعة .

— ١ —

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا .

« و » حق

« النازعات » المخلصات أرواح المحبين ، من محابس الطبائع والأركان

« غرقاً » لاستغراقهم فى لوازم الناسوت ، ومقتضياتها ، المغشية صفاء عالم اللاهوت

— ٢ —

وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا .

« والناشطات » المنزعات ، المخرجات ، لنفوس أرباب المحبة والولاء ، المتشوقين إلى عالم العماء ، وفضاء اللاهوت

« نشطا » رفقا ولطفا بهم ... لكمال تحننهم ، وتشوقهم إلى الخلاص

— ٣ —

وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا .

« والسابحات » المخرجات أرواح الأبرار المحسنين ، عن أشباحهم، هينات لينات ، بحيث تقبضهم رفقا . . . ثم تمهلهم حتى يستريحوا . . . ثم تقبضهم هكذا . . .

إلى أن تخلصهم . . . كالسابح فى الماء يتحرك . . . ثم يستريح . . . ثم يتحرك[1]

« سبحا » لكونهم سابحين فى بحر الحيرة دائما ، حتى وصلوا إلى بحر اليقين

— ٤ —

فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا .

« فالسابقات » أى : النفوس الفانية فى الله ، الباقية ببقائه ، المبادرة إلى الخروج ، قبل نزول النازعات

« سبقا » لكمال شوقهم ، وانبعاثهم ، وتجردهم عن ملابس عالم

(١) هكذا يبلغ الرجل ... من الكشف ... فيستطيع أن يقدم لنا ... الكيفية التى يخرج بها ملائكة الموت ... أرواح المؤمنين !
فتأمل : كم فى عطاء الله من عجب !!!

الناسوت ، وانتزاعهم عن مقتضيات الطبيعة والأركان ، قبل حلول الأجل ، وهجوم المخرجات المخلصات

— ٥ —

فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً .

« فالمدبرات » الموكلات[١] على تدابير عموم المظاهر ، من الأرزاق ، والآجال ، وجميع الأمور الجارية فى عالم الكون والفساد « أمراً » لكونهم مأمورين بها ، موكلين عليها ، بمقتضى حكمة التقدير العليم

يعنى : بحق هذه الحوامل العظام ، والموكلات الكرام ، لتبعثن أنتم من قبوركم ، ولتحاسبن على أعمالكم ، أيها المكلفون اذكروا ...

— ٦ —

يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ .

« يوم ترجف » تتحرك ، وتضطرب

« الراجفة » المتقررة ، الساكنة ، التى لا حركة لها أصلا

(١) يعنى : الملائكة الذين يقومون بتنفيذ الأوامر الإلهية

كالأرض[1] ، وسائر الجمادات

وبعد تحرك هؤلاء الجوامد . . .

— ٧ —

تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ .

« تتبعها » فى الحركة والاضطراب والاندكاك

« الرادفة » أى : العلويات السائرة ، المتحركة دائماً . . . حيث تنشقق السماوات . . . وتنتثر الكواكب

وبالجملة تختلط العلويات بالسفليات ، وتتمازجان بحيث لا علو ولا سفل ، من شدة الهول ، ونهاية الفزع

— ٨ —

قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ .

قلقة ، حائرة ، شديدة الاضطراب

---

(١) لعل المؤلف يعنى ألا حركة للأرض فى رأى العين ... ولكن الكرة الأرضية تتحرك وتجرى دائماً ... قال تعالى « كل يجرى » ...
كما أن الجمادات الساكنة ظاهراً ... تتحرك ذراتها باطنا ، كما أثبت ذلك العلم الحديث ...
والآية تشير إلى اهتزاز العوالم اهتزازاً عنيفاً ، « ترجف الراجفة » تهتز اهتزازاً ... تمهيداً للانفجار العام ... والتناثر التام

— ٩ —

أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ .

« أبصارها » أى : أبصار أصحاب القلوب حينئذ

« خاشعة » شاخصة ، ذليلة ، من شدة الخوف والهول المفرط

مع أن هؤلاء الشاخصين الواجفين قد كانوا . . .

— ١٠ —

يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ .

« يقولون » فى النشأة الأولى ، حين أخبرهم الرسل بالبعث والحشر ، على سبيل الاستبعاد والإنكار

« أإنا لمردودون فى الحافرة » أى : الحالة التى قد كنا عليها ؟ !

يعنى : أنبعث أحياء كما كنا من قبل ؟ !

ثم يزيدون الإنكار بقولهم :

— ١١ —

أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً .

بالية ، رميمة ، نبعث ، ونحيي ؟ !

كلا ، وحاشا ، من أين يتأتى لنا هذا ؟ !

وبعد ما استبعدوا ، واستكبروا بما استنكروا . . .

— ١٢ —

قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ .

« قالوا » متهكمين ، مستهزئين

« تلك » الحالة المفروضة لو وقعت ، ورددنا إلى الحياة بعد الموت ، كما زعم هؤلاء المدعون — يعنون الرسل — لحصل لنا ذلك

« إذاً كرة » عودة ، ورجعة

« خاسرة » أى : ذات خسران وخذلان ... إذ قد كنا نكذب بها ، ولا نصدق بمن أخبر ، وبعد ما وقعت قد كنا خاسرين خسرانا عظيما

وبعد ما تقولوا من بطرهم وخيلائهم بما تقولوا ... قيل لهم من قبل الحق ، مترعا على استماع استعداداتهم : لا تستبعدوا أمر الساعة الموعودة المعهودة ، أيها المسرفون المفرطون ، ولا تستصعبوها ...

— ١٣ —

فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ .

« فإنما هى » أى : أمر الساعة وقيامها ، عند كمال قدرتنا الغالبة القاهرة

« زجرة واحدة » أى : ما هى إلا نفخة واحدة تنفخ فى الصور بأمرنا وحكمنا ، فإذا نفخت النفخة الثانية . . .

— ١٤ —

فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ .

أى : فاجأت بنى آدم بأجمعهم ، فصاروا أحياء على وجه الأرض ، كما قد كانوا عليها فى النشأة الأولى ، من الهيآت ، والأشكال ، والهياكل

ثم أشار سبحانه إلى تسلية حبيبه صلى الله عليه وسلم ، وحثه على الاصطبار ، بأذيات أصحاب التكذيب والاستكبار فقال :

— ١٥ —

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى .

يعنى : لما اضطربت أنت بتكذيب قومك ، وإنكارهم عليك ، وإعراضهم عن هدايتك وإرشادك ، يا أكمل الرسل ، أليس قد أتاك حديث أخيك موسى الكليم ، حتى يسليك ، ويزيح كربك ، ويرشدك إلى الصبر والثبات ، مثل أخيك موسى عليه السلام ، حتى تظفر على أعدائك مثله ، وذلك وقت . . .

— ١٦ —

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى .

« إذا ناداه ربه » بلا وسيلة الملك ، وسفارة السفير ، إذ هو حينئذ من إفراط المحبة

« بالواد المقدس » عن رذائل الأغيار ، وعن الالتفات إلى ما سوى الملك الجبار

« طوى » أي : قد طويت دونه حينئذ مطلق التعينات ، والنقوش ، والتموجات الطارية على بحر الوجود ، من عواصف الإضافات المتموجة والتكثبات

وبعد ما قد تقرر عليه السلام في مقعد الصدق

وتمكن على مكمن اللاهوت أمره سبحانه ، بالالتفات إلى عالم الناسوت ، والرجعة نحوه للارشاد والتكميل

تتميماً لقضية الحكمة البالغة المتقنة الإلهية بقوله :

— ١٧ —

اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى .

« إذهب إلى فرعون » العالي العاتي ، الطاغي الباغي

« إنه » قد

« طغى » وتجاوز عن مقتضى العبودية ، طغيانا فاحشا ، إلى أن قد ادعى الألوهية لنفسه

— ١٨ —

فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أن تزَكَّى .

« فقل » له مستفهما أولا ، على طريقة الملاينة ، اللازمة لمرتبة النبوة والإرشاد

« هل لك » بعد ما انحرفت عن جادة العبودية بهذه الدعوى الكاذبة الباطلة ميل ...

« إلى أن تزكى » تتزكى ، وتتطهر ، عن رذائل الكفر ، ونقيضه الظلم والعدوان(١) ؟

— ١٩ —

وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى .

« وأهديك(٢) » وأرشدك أنا بإذن الله ووحيه

---

(١) أجمل تفسير يعجبنى فيما قرأت من تفاسير أن « تزكى » بمعنى : ترقى .. أى : هل لك يا فرعون رغبة أن تترقى .. أن ترقى بنفسك إلى أعلى ؟

(٢) وأجمل تفسير فى قوله «وأهديك» أى : أوجهك .. فالهدى بمعنى التوجيه بمفهوم عصرنا الحديث

« إلى » توحيد

« ربك » وتقديس مربيك ، الذى قد أظهرك من كتم العدم ، ورباك بأنواع اللطف والكرم

وبعد ما تعرف أنت وحدة ربك ، وتؤمن بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا ، وتصدق أنت بكمال قدرته واقتداره ، على وجوه الانتقامات والإنعامات ، باستقلاله فى عموم التدبيرات والتصرفات

« فتخشى » حينئذ عن بطشه وقهره... وتشتغل بأداء المأمورات ، وترك المنكرات والمحرمات ، والاجتناب عن مطلق المنهيات

وبالجملة ... تكون أنت حينئذ من زمرة أرباب العناية والكرامات ، وتتخلص من نيران الطبيعة ودركاتها

وبعد ما ذهب موسى بمقتضى أمر الله ووحيه إلى فرعون ، الطاغى الباغى

وبالغ فى التبليغ ، وإظهار الدعوة ، والملاينة على وجه الرفق والمداراة ...

— ٢٠ —

فَأَرَاهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَى .

« فأراه » على سبيل التبيين والتوضيح

« الآية الكبرى » يعنى : العصا وتقليبها حية

أو : جنس الآيات النازلة عليه

وبعد ما سمع فرعون من موسى ما سمع ، ورأى من الآيات ما رأى ، استكبر وغوى ...

— ٢١ —

فَكَذَّبَ وَعَصَى .

« فكذب » موسى ، واستكبر عليه

« وعصى » المولى ، وزاد بغياً وطغياناً

— ٢٢ —

ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى .

« ثم » بعد ما أقبل عليه موسى للارشاد والتكميل بأمر الله ، قد « أدبر » واستدبر فرعون عن الإقبال ... بل أقبل على البغى والضلال ، لذلك ...

« يسعى » ويجتهد فى المعارضة والإبطال

— ٢٣ —

فَحَشَرَ فَنَادَى .

« فحشر » جنوده وسحرة بلاده

« فنادى » على رءوس الملأ ، على سبيل الاستعلاء والاستكبار

— ٢٤ —

فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى .

« فقال » ذلك المسرف المفرط ، من كمال البطر والافتخار

« أنا ربكم » ومربيكم الأجل

« الأعلى » من كل من يلى أمركم أيها البرايا .

ثم لما أفرط اللعين فى البغى والطغيان ، وبالغ فى الظلم والعدوان . . .

— ٢٥ —

فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى .

« فأخذه الله » القدير ، القهار

فجعل سبحانه طغيانه وعدوانه فى النشأة الأولى

« نكال الآخرة والأولى » أى : سبب الأغلال والسلاسل فى النشأة الأخرى

وسبباً للاهلاك والإغراق أيضا فى النشأة الأولى

— ٢٦ —

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى .

« إن فى ذلك » الشأن الذى قد جرى على فرعون ، من أنواع البلاء فى النشأة الأولى والأخرى

« لعبرة » وعظة عظيمة ، وتذكيراً بليغاً

« لمن يخشى » من غضب الله ، وعن مقتضيات قهره وجلاله .

ثم أشار سبحانه إلى توبيخ مطاق المنكرين للنشأة الأخرى ، وتقريعهم ، وتسفيههم بمقتضى عقلهم فقال :

— ٢٧ —

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا.

« أأنتم » أيها المنكرون المفرطون المسرفون ، فى أمر الحشر والنشر

« أشد » وأصعب

« خلقا » وإيجاداً على سبيل الإعادة

« أم السماء » التى هى أرفع الأبنية وأعلاها ، وأشدها نظاما ، وأقواها بنيانا والتئاما ، إذ هو سبحانه . . .

« بناها » بقدرته الكاملة ، وأحسن بناءها بحيث . . .

— ٢٨ —

رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا .

« رفع سمكها » وسقفها بلا أعمدة وأسانيد واسطوانات

« فسواها » وعدلها بلا قصور وفطور

وبعد ما سواها كذلك ، قد أدارها وحركها على الاستدارة كذلك ...

— ٢٩ —

وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا .

« و » قد رتب على حركاتها المدذين حيث

« أغطش » وأظلم

« ليلها » الحاصل من حركاتها

« وأخرج » أى : أبرز وأظهر

« ضحاها » ضوء شمسها فى النهار ، الحاصل من تلك الحركات.

— ٣٠ —

وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا

« و » بعد ما رتبها كذلك قد خلق

« الأرض بعد ذلك » أى : بعد خلق السماوات ، وأعجب فى خلقها بأن

« دحاها » ومهـــدها ... أى : بسطها لمن يسكن عليها ، ويستقر فيها .

وبعد ما بسطها كذلك ...

— ٣١ —

أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا

« أخرج منها ماءها » حيث فجر فيها عيونا وأجرى أنهاراً

« و » أظهر وأنبت أيضا عليها

« مرعاها[1] » تقويتا لمن عليها ، وما عليها .

— ٣٢ —

وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا .

« و » قد رتب

« الجبال » الطوال الثقال أيضا عليها حتى

« أرساها » أحكمها وأثبتها

وإنما مهدها ، وبسطها ، وأنبت عليها ، وفجر منها ، لتكون . . .

— ٣٣ —

مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ .

« متاعاً لكم » أي : ترفها ، وتمتعاً لكم عليها

« و » كذا

---

(١) المراد بالمرعى : جميع أنواع الزراعات التى هى طعام للناس والحيوان

« لأنعامكم » ومواشيكم أيضا ... فإنها من لواحق معايشكم ، ومتمماتها

وبعد ما قد فضلكم سبحانه ، وربا كم عليها بأنواع الخيرات والبركات

قابلتموها بالجحود والنسيان فتربصوا ...

— ٣٤ —

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى .

أى : فاذكروا الداهية العظمى ، التى هى عبارة عن قيام الساعة الموعودة ، واذكروا ...

— ٣٥ —

يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى .

« يوم يتذكر » فيه

« الإنسان » عموم

« ما سعى » واقترف فى النشأة الأولى ، حيث يعطى لهم صحائف أعمالهم الماضية مفصلة

فينظرون فيها ، ويتذكرون بها جميع ما صدر عنهم من الأعمال الصالحة والفاسدة ، فيجازون بمقتضاها

— ٣٦ —

وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى .

« وبرزت الجحيم » أي : قد لاحت ، وظهرت الجحيم يومئذ

« لمن يرى » أي : لـكل من يتأتى منه الرؤية

أي : يظهر أمرها بحيث لا يخفى على أحد .

ثم قسم الناس حينئذ قسمين :

— ٣٧ —

فَأَمَّا مَن طَغَى .

فى النشأة الأولى

— ٣٨ —

وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا .

أي : اختار الحياة المستعارة ، الدنية ، الدنياوية ، ولوازمها ، من اللذات الوهمية ، والشهوات الفانية البهيمية . . . على الحياة الأخروية وما يترتب عليها من اللذات اللدنية الباقية

— ٣٩ —

فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى .

« فإن الجحيم » المسعرة

« هى المأوى » لهم ، مقصور عليهم ، إذ لا مأوى سواها

— ٤٠ —

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى .

« وأما من خاف مقام ربه » أى : خاف عن قيامه بين يدى الله ، ووقوفه فى المحشر للحساب ، وعرض الأعمال عليه سبحانه ، والجزاء عليها

« و » مع كمال خوفه وخشيته

« نهى النفس عن الهوى » أى : قد كف نفسه عن مقتضياتها التى ترديها وتغويها

— ٤١ —

فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى .

« فإن الجنة » الموعودة لهم على لسان الكتب والرسل

« هى المأوى » أى : مأواهم مقصور على الجنة ، وهم فيها أبدا خالدون ، ولا يتحولون إلا إلى ما هو أولى منها ، وأعلى درجة ومقاماً من درجاتها ومقاماتها

ثم قال سبحانه :

— ٤٢ —

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا .

« يسألونك » يا أكمل الرسل

« عن الساعة » ووقت قيامها ، الذى هو من جملة الغيوب ، التى لا نطلع أحداً عليها

« أيان مرساها » أى : متى إرساؤها وإقامتها ؟

وأى آن إتيانها وقيامها ؟

عيّن لنا وقتها . . .

— ٤٣ —

فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا .

أى : أنت فى أى شىء وشأن منها ، أن تذكر لهم وقتها ، أو تعينها ، مع أنا لا نطلعك على وقتها ، سوى أنا قد أوحينا لك أنيتها وثبوتها ، وتحقق قيامها ، فما لك إلا تبليغ ما يوحى إليك . . . بل . . .

— ٤٤ —

إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا .

أى : منتهى علمها ، وتعيين وقتها ، إنما هو مفوض إلى علم الله ، موكول إلى لوح قضائه

— ٤٥ —

إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخشَاهَا .

أى : ما أنت إلا نذير ، لم تبعث إلا لإنذار الخائفين ، الموقنين

على الخوف من أهوالها وأفزاعها . . . لا من المقدرين المعينين لوقتها وكيف يسع لك هذا التعيين والتقدير ، إذ هو من جملة الغيوب التى قد استأثر الله بها ، ولم يطلع أحداً عليها ؟

ثم قال سبحانه تهويلا على المنكرين :

— ٤٦ —

كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا .

« كأنهم يوم يرونها » ويعاينون قيامها يتيقنون حينئذ على سبيل الجزم أنهم . . .

« لم يلبثوا » ولم يمكثوا فى دار الدنيا مدة حياتهم فيها

« إلا عشية » أى : عشية يوم

« أو ضحاها » أى : ضحى تلك العشية

يعنى : يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا ، بالنسبة إلى يوم الدين وطولها .

سورة عبس

مكية — وآياتها ٤٢ — نزلت بعد النجم

لما كان صلى الله عليه وسلم مشغوفاً بإيمان رؤساء مكة ، شرفها الله تعالى ، وصناديدهم ، طالباً لدعوتهم وإرشادهم

جلس يوما من الأيام معهم ، على سبيل الملاينة ، رجاء أن يوفقوا للايمان ، ويرغبوا الى قبول الدعوة

وكان صلى الله عليه وسلم يصاحبهم ويداريهم ، حتى دخل عليه صلى الله عليه وسلم ، ابن أم مكتوم الأعمى رضى الله عنه

ولم يدر من هم عنده صلى الله عليه وسلم

فقال : يا رسول الله ، علمنى بما علمك الله

ولم يلتفت صلى الله عليه وسلم ، واشتغل مع أهل الثروة

فناداه ، بما نادى ، مرة بعد أخرى

حتى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقطب وجهه ، فعبس ، فجرى فى نجواه ما جرى ، من لحوق العار بأن يعيب عليه أولئك الصناديد الأشرار بأن اتباعه ما هى إلا العجزة والعميان والمساكين

وكان عليه صلى الله عليه وسلم حتى أوحاه سبحانه معاتباً عليه ، مؤدبا ، فقال :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » الذى ظهر على قلوب أوليائه ، بمقتضى سعة رحمته

« الرحمن » عليهم بحفظ مرتبتهم

« الرحيم » عليهم ، يوقظهم من غفلتهم . . . قد . . .

— ١ —

عَبَسَ وَتَوَلَّى .

« عبس » وجهه من جهة الكراهة عن المسترشد الفقير الضرير

« وتولى » أى : أعرض عنه ، وانصرف ، وحول صفحة وجهه منه ، كارها إياها ، وذلك وقت . . .

— ٢ —

أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى .

« أن جاءه » المسترشد

« الأعمى » أخرج الكلام سبحانه مع حبيبه صلى الله عليه وسلم على طريق الغيبة ، إظهاراً لكمال الغيرة ، والحمية الإلهية ، عن هذه الغفلة الغير المرضية

ثم التفت إلى الخطاب ، لكمال التأديب ، فقال على سبيل التهويل :

— ٣ —

وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى .

« وما يدريك » وأى شىء يكشف لك حاله وقلبه ؟

« لعله يزكى » يتزكى ويتطهر عن الآثام ، ويهتدى إلى طريق الإسلام ، بهدايتك وإرشادك هذا الأعمى

بخلاف أولئك الجهلة الغفلة الذين قد تحننت نحوهم ، وأحببت دعوتهم ، فإنهم لا يهتدون ولا يتطهرون .

— ٤ —

أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى .

« أو يذكر » أى : يتعظ ويتذكر هذا المريد الفقير الضرير من كلامك

« فتنفعه الذكرى » والعظة ، ويتوجه هو بسببها نحو المولى

— ٥ —

أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى .

عن الله ، وأعرض عن آياته ، وعن تذكيرك ودعوتك إياه ، مستكبراً بماله وثروته وسيادته وكمال نخوته

— ٦ —

فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى .

يعنى : تميل ، وتتعرض ، بالإقبال إليه ، وتتحنن بكمال المحبة نحوه

— ٧ —

وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى .

« وما عليك » وأى شىء عرض عليك ، ولحق بك من المكاره

الإمكانية ، حتى حجبك وأغفلك

« ألا يزكى » أى : أنه لا يتطهر عن خبائث الآثام ، وأدناس

الكفر والعصيان ، ذلك المعرض المستغنى ، المسرف المفسد المستعلى

وما سبب اهتمامك ، حتى يبعثك على الإعراض عن أهل الحق ،

وعدم الالتفات نحوهم ، مع أن ما عليك إلا البلاغ والتبليغ ، لا الهدى،

فكيف تحننت نحو أعداء الله ؟ !

— ٨ —

وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى .

« وأما من جاءك » من أرباب الطلب والإخلاص

« يسعى » ويسرع بطلب الخير والهداية منك فى دين الله

— ٩ —

وَهُوَ يَخْشَى .

« و » الحال أنه

« هو يخشى » من غضب الله ، وهو يرجو من ثوابه ، مؤملا

منك الإرشاد ، ومن الله الهداية والرشد

— ١٠ —

فَأَنتَ عَنهُ تَلَهَّى .

« فأنت » مع كونك مبعوثاً على الهداية والإرشاد ، إلى أصحاب الإرادة والقبول

« عنه تلهى » تتشاغل وتنصرف ، كأنك تحقره ، ولا تبالى بشأنه وإيمانه ، لرثاثة حاله وفقره .

ثم بالغ سبحانه فى تأديب حبيبه صلى الله عليه وسلم ، وأكده حيث قال :

— ١١ —

كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ .

« كلا » ردع ... أى : ارتدع عن فعلتك هذه أيها المبعوث بالرسالة العامة ، ولا تمل إلى أصحاب الزيغ والضلال ، معرضاً عن أرباب الهداية والكمال

إذ ليس عليك التميز والاختيار ، بل ما عليك إلا التبليغ والإنذار

« إنها » : أى : عموم دعواتك وتذكيراتك إياهم بمقتضى الآيات البينات إنما هى

« تذكرة » نازلة عليك من ربك ، وأنت مأمور بتبليغها

إلى الناس من لدنه

— ١٢ —

فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ .

« فمن شاء » وأراد سبحانه اتعاظه من عباده

« ذكره » بالقرآن ، ووعظه به ، سواء كان فقيراً أو غنياً

ومن لم يشأ لم يتعظ

وكيف لا يوعظ ، ولم يتعظ به ، مع أنه منزل من عند الله ...

مثبت ...

— ١٣ —

فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ .

« فى صحف » نازلة على رسل الله

« مكرمة » عنده سبحانه

— ١٤ —

مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ .

« مرفوعة » مقبولة لديه درجـــة ومكانا ، ملقاة من عند الله

إلى رسل الله

« مطهرة » عن تخليطات الوهم والخيال ، منزهة عن تحريفات الشياطين

إذ هى نازلة من عند الله إلى رسل الله

— ١٥ —

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ .

أى : ملائكة يتوسلون(١) ، سفراء بين الله ورسله

— ١٦ —

كِرَامٍ بَرَرَةٍ .

« كرام » أعزة عند الله ، ذوى كرم وكرامة عظيمة على أهل الإيمان

« بررة » أتقياء ، مبرورين فى أنفسهم ، بارين على عباد الله

ومع هذه الكرامة العظيمة الإلهية ، والإشفاق البليغ من لدنه سبحانه ، والرحمة العامة

— ١٧ —

قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ .

« قتل الإنسان » أى : لعن وطرد عن ساحة عز القبول

---

(١) أى يتقربون

« ما أكفره » أى : أىّ شىء حداه وبعثه إلى الكفر والإعراض عن الله المنعم المفضل . . . والانصراف عن طاعته وعبادته ، مع أنه عالم بكمال كرامته سبحانه عليه ، معترف ببدائع صنعه وصنعته معه ، ووفور إنعامه وإحسانه عليه ، متذكر فى نفسه ، مستحضر بشؤونه وتطوراته السالفة ، القذرة الخبيثة ، الواردة عليه ، سيما :

— ١٨ —

مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُ .

« من أى شىء » مسترذل مستنزل

« خلقه » وأوجده سبحانه حسب قدرته

— ١٩ —

مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ .

« من نطفة[1] » مهينة خبيثة

« خلقه فقدره » أى : هيأ آلاته وأعضاءه منها

---

(١) النطفة بلغة اليوم ، هى الحيوان المنوى الذى يتكون منه الجنين ، وقد أثبت العلم الحديث أن القذف الواحد من الرجل فيه نحو مليونين من الحيوانات المنوية ، أى أن قذفاً واحداً من رجل واحد فى عملية جنسية واحدة لو قدر لجميع الحيوانات المنوية التى فيه أن تتكون لكان منه مليونان من البشر ، أى دولة كاملة من الدول الصغيرة التى تعدادها مليونان !!

فعدله ، وسوى هيكله

كل ذلك ليعرف مبدأه ومعاده

— ٢٠ —

ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ .

« ثم السبيل » الموضح الموصل إلى ربه وموجده ، الذى هو مبدؤه ومعاده

« يسره » وسهل عليه ، وأودع فيه العقل الفطرى

— ٢١ —

ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ .

« ثم أماته » عن نشأة الابتلاء والاختبار ، تخليصاً ، وتقريباً إلى ربه

« فأقبره » فى البرزخ[1]

---

(١) هذه ومضة نور رائعة ... يكشف فيها المؤلف عن حقيقة هامة جداً ... تغيب عن جماهير المؤمنين !

فالقبر الذى هو هذه الحفرة التى نوارى فيها الجثة لا شىء فيه سوى الجثث وبقاياها ...

وإنما النفوس التى انتقلت تباشر حياتها فى برازخها ... فى مثواها عند ربها .. فى درجات عند الله ... إما نعيما ... وإما عذابا ... حتى تقوم الساعة ...

أما هذه الحفر فلا شىء فيها سوى بقايا الجثث ! !

— ٢٢ —

ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ .

« ثم إذا شاء » وتعلقت مشيئته للاحياء

« أنشره » من القبر ، وحشره إلى المحشر ، فحاسبه ، فجازاه على مقتضى حسابه ، خيراً كان أو شراً ، فضلا عنه أو عدلا

— ٢٣ —

كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ .

« كلا » ردع له ، وويل عليه

ما هذا النسيان والكفر لهذه النعم العظام ، والكرامات الجسام ؟

« لما يقض » أى : لم يقض ، ولم يجر من لدن وجـــوده وظهوره على . . .

« ما أمره » الحق به . . . إذ قلما يخلو أفراد الإنسان عن الكفر والكفران ، والإثم والعدوان

إلا أن بعضه متدارك متلاف ، قد جبر بالتوبة والإيمان ، ما كسر بالكفر والكفران

وبعضه مغمور فى عصيانه ونسيانه ، وبغيه وطغيانه ، إلى حيث لا يتنبه قط . . . وبالجملة . . .

— ٢٤ —

فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ .

« فلينظر الإنسان » المجبول على الكفران والنسيان

« إلى طعامه » المسوق له من لدنا ، تفضلا عليه وتكريما ،

لتقويته وتقويم بنيته

— ٢٥ —

أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا .

« أنا » من مقام عظيم جودنا . . . كيف . . .

« صببنا الماء » وأفضناه من جانب السماء

« صبا » ترويحاً له ، وتهيئة لأسباب معاشه

— ٢٦ —

ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا

« ثم شققنا الأرض » بعد ما صببنا الماء عليها

« شقاً » بديعاً

— ٢٧ —

فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا .

من أنواع الحبوب ، التى يقتات بها نوع الإنسان

— ٢٨ —

وَعِنَبًا وَقَضْبًا .

« وعنباً » متضمنا لأنواع الأدم والمشروبات

« وقضباً » هو نبات يقطع فى السنة مرة بعد أخرى ، مثل النعناع . .

والكراث وغيرها . . . مما يعين للأكل

— ٢٩ و ٣٠ —

وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا . وَحَدَائِقَ غُلْبًا .

« و » بالجملة

« حدائق غلباً » مملوءة بأنواع الأشجار والثمار

— ٣١ —

وَفَاكِهَةً وَأَبًّا .

« وفاكهة » أى : ألوان الفواكه وأنواعها وأصنافها

« وأباً » علفاً لمواشيه ومراكبه التى بها يتم ترفهه وتنعمه

وبالجملة قد أعطاكم ، وأحسن إليكم سبحانه ما أعطى وأحسن ،

من النعم العظام ، والكرامات الجسام ، ليكون . . .

— ٣٢ —

مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ

« متاعاً » وتمتيعاً

« لكم ولأنعامكم » التى بها يتم ترفهكم وتنعمكم

وإنما أنعم عليكم سبحانه لتعرفوا المنعم ، وتواظبوا على شكر نعمه

وأنتم أيها المسرفون المفرطون تكفرون للنعم والمنعم جميعاً . . .

واذكروا . . .

— ٣٣ —

فَإِذَا جَاءَتِ الصَّآخَّةُ

الصيحة المفزعة لصماخكم وأسماعكم ، فحينئذ شق عليكم الأمر وصعب الهول

مع أنه لا نصر يومئذ ولا مظاهرة ولا إغاثة حينئذ من أحد ولا إعانة بل . . .

— ٣٤ —

يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ

« يوم » أى : يومئذ

« يفر المرء من أخيه » شقيقه وشفيقه

— ٣٥ —

وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ

« و » من

« أمه » التى يأوى إليها فى الوقائع والملمات

« وأبيه » الذى يظاهر ويفتخر به

— ٣٦ —

وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ

« وصاحبته[١] » التى هى أحب إليه من عشائره

« وبنيه » الذين هم أعز عليه من عموم أقاربه

وسبب النفرة والفرار اشتغال كل منهم بحاله ، بلا التفات منه إلى حال غيره . . . إذ . . .

— ٣٧ —

لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ

يشغله عن شؤون غيره ، ويزعجه عن الاهتمام به ، مع أنه لا يكف ولا يكفيه أحد منه

وكيف لا يكون كذلك إذ . . .

---

(١) وزوجه

— ٣٨ —

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ

مضيئة ، مشرقة ، منورة بنور الإيمان والعرفان

— ٣٩ —

ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ

« ضاحكة » فرحا وسروراً بلقاء الرحمن

« مستبشرة » بعلو الدرجات ، والمقامات ، وبأنواع السعادات والكرامات

— ٤٠ —

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ

« ووجوه » أخر

« يومئذ عليها غبرة » غبار وكدورة ناشئة من اكدار الكفر والكفران ، وأقذار الآثام والعصيان . . . مظلمة إلى حيث . . .

— ٤١ —

تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ

« ترهقها » وتغشيها

« قترة » مذلة وصغار ، وذلة وخسار . . . موجبة لأنواع الهلاك والبوار . . . وبالجملة . . .

— ٤٢ —

أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ

« أولئك » الأشقياء البعداء عن ساحة عز القبول . . . المكدرون بكدورات الكفر والشرك ، وأنواع الفسوق والفجور

« هم الكفرة الفجرة » الخارجون عن مقتضى الحدود الإلهية . . . وعن نور المعرفة والإيمان . . . بمتابعة القوى البهيمية ، من الشهوية والغضبية

إذ كلتاهما مناط عموم الشرور والخسران

سورة التكوير

مكيّة — وآياتها ٢٩ — نزلت بعد المسد

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » المتجلى بعموم كمالاته فى النشأتين

« الرحمن » فى النشأة الأولى . . .

« الرحيم » فى النشأة الأخرى . . .

— ١ —

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ

يعنى : إذا قامت القيامة . . . ولاحت شمس الذات الأحدية عن مكمن العماء . . . وغلبت نشأة اللاهوت على نشأة الناسوت

قد كور الوجود الإضافى ، المنعكس من الوجود المطلق الإلهى المنبسط على صفائح مطلق العكوس والأظلال

واف وطوى بحيث لم يبق له أثر ، عن ظهور شمس الحقيقة الحقيقية[1]

— ٢ —

وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ

يعنى : قد انقضت واضمحلت حينئذ نجوم الهويات ، وهيأ كل الماهيات ، الحاصلة من الأوضاع والنسب والإضافات العدمية ، الاعتبارية المحضة

لم يبق لها رسم وأثر ، عند ظهور الهوية الذاتية الإلهية الحقيقية

---

(١) الرجل هنا ... ينطلق مع ذوقه ومذاقه ! !

ويسمو إلى مقام عجيب . . فينكشف له أن الآيه تشير إلى حقائق ظهور شمس الحق ...

وما يستتبع ذلك من آثار فى الوجود الإضافى ! !

— ٣ —

وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ .

يعنى : قد سارت ، وانقلعت ، وطارت عن أماكنها . . . جبال الأنواع والأجناس ، الواقعة فى عالم التعينات

— ٤ —

وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ .

« وإذا العشار » يعنى : السحب الماطرة . . . لمياه المعارف والحقائق ، الفائضة على أراضى الاستعدادات القابلة لها ، اللائقة لفيضانها . . . قد . . .

« عطلت » وتركت لاضمحلال محالها ، وتلاشى قوابلها ، بانقضاء نشأة الاختبار

— ٥ —

وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ .

« وإذا الوحوش » أى : النفوس ، المستوحشة ، الآبيـــة ، الوحشية ، التائهة فى بوادى الطبيعة . . .

« حشرت » وجمعت إلى ما فيه انتشت وبدت

— ٦ —

وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ .

أى : البحار الحاصلة من اعتبارات الوجود ، وشؤونه الـكلية ، ظاهراً وباطناً ، غيباً وشهادة ، دنيا وعقبى . . . قد . . .

« سجرت » جمعت ، وملئت ، واتحدت ، فصار بحر الوجود بحراً واحداً ، زخاراً قهاراً ، لا ساحل له أصلا ، ولا قعر له حقيقة

— ٧ —

وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ .

« وإذا النفوس » يعنى : الأرواح الفائضة ، على هياكل الأشباح ، من عالم الأمر

« زوجت » وقرنت يومئذ ببواعثها وموجباتها

— ٨ —

وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ .

أى : ابكار المعانى والمعارف الإلهية ، المودعة المدفونة ، فى أراضى الطبائع والأركان ، مع اتصافها بالحياة الأزلية الأبدية . . . سئلت من سكان تلك البقاع ، عن أحوال تلك المخدرات الحسان

— ٩ —

بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ .

« بأى ذنب » وجريمة

« قتلت » تركت ودفنت فى أراضى الطبائع والأركان ، مع أنها إنما حييت وجبلت لكسب أنواع الخيرات ، واقتراف أصناف السعادات والكرامات ؟

— ١٠ —

وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ .

« وإذا الصحف » أى : صحائف تفاصيل الأعمال ، المشتملة على عموم الأمانى والآمال ، المطوى فيها جميع الأحوال ، الصادرة من أصحاب الغفلة والضلال

« نشرت » قد فرقت ، وكشفت بين أصحابها

— ١١ —

وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ .

« وإذا السماء » أى : سماء الأسماء ، والصفات الإلهية ، المتجلية على شئون الظهور والنزول

« كشطت » طويت ، وأزيلت عن هذه الشؤون ، إلى شؤون البطون والخفاء

— ١٢ —

وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ .

« وإذا الجحيم » المعدة لأصحاب الغفلة والضلال ، التائهين فى بوادى الجهالات ، بمتابعة أهويتهم وآرائهم الفاسدة العاطلة

« سعرت » أوقدت وأحميت ، بنيران غضبهم وشهواتهم ، التى هم كانوا عليها فى نشأة الاختبار .

— ١٣ —

وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ .

« وإذا الجنة » المعدة لأرباب العناية والوصال ، المتصفين بالتقوى عن مطلق المحارم ، وبالامتثال بمقتضيات الأوامر والنواهى ، وعموم الأحكام الموردة فى الكتب الإلهية ، المتعلقة بإرشادهم وتكميلهم

«أزلفت» قربت ، وقرنت بهم ، بحيث قد فازوا بعموم ما وعدوا من قبل الحق

— ١٤ —

عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ .

يعنى : قد علمت كل نفس ، من النفوس المودعة فى هيا كلها ، لحكمة المعرفة والتوحيد ... أى شىء أحضرت عند الحساب عليها ، من الأمور المأمور بها ، حتى تجازى بها على مقتضاها ؟

وبعد ما عد سبحانه أحوال القيامة وأهوالها ، أشار إلى ما يدل على التأكيد والمبالغة فى وقوعها ...

— ١٥ —

فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ .

« فلا أقسم » أى : لا حاجة إلى القسم لإثبات هذه المذكورات ، إذ هى فى غاية السهولة والظهور ...

سيما عند القدرة الغالبة الإلهية ... بل أقسم ...

« بالخنس » أى : بالنفوس الزكية عن لوث لوازم الناسوت ، الراجعة المقبلة نحو عالم اللاهوت ... قبل قيام الساعة ... لصفاء مشربها ، ونظافة طينتها

— ١٦ —

الْجَوَارِ الْكُنَّسِ .

أى : النفوس القدسية ، الفائضة من المبدأ الفياض ، على الشطار

الطائرين إلى الله ، الطائفين حول بابه ، المختفين تحت قباب عزه ، وشمس ذاته ، بحيث لا يعرفهم أحد سواه سبحانه

— ١٧ —

وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ .

« و » بحق

« الليل » عالم العماء الإلهى ، والفضاء الصمدانى ، المتعـــالى عن إدراك الشعور مطلقاً

« إذا عسعس » وأقبل ظلامه واشتد ، بحيث قد اختفى واضمحل وبطن ، وغاب وشهد

— ١٨ —

وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ .

« و » بحق

« الصبح » أى : عالم الجلاء والانجلاء ، المنعكس من تلك العماء اللاهوتى

« إذا تنفس » أى : أضاء وأشرق ، على أهل الفناء ، الفانين عن الفناء المتعطشين لزلال البقاء ، الباقين تحت قباء العز الأحدى الصمدى

— ١٩ —

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ .

« إنه » يعنى : اقسم سبحانه بهذه المقسمات العظيمة ، ان القرآن الفارق بين الحق والباطل ، والهداية والضلال ، والسعادة والشقاوة

« لقول رسول » مرسل من قبل الله

« كريم » متصف بأنواع الكرامة والأمانة

— ٢٠ —

ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ .

« ذى قوة » غالبة ، على تحمل الوحى الإلهى

« عند ذى العرش » العظيم ، المحيط بعروش عموم المظاهر

« مكين » ذى مرتبة سنية ، ومكانة عظيمة

— ٢١ —

مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ .

« مطاع ثم » أى : فى عالم الأسماء والصفات

« أمين » حفيظ على الوحى الإلهى

بحيث لا يشذ عنه شىء من أوامره ونواهيه المأمور بها له

— ٢٢ —

وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ .

« و » أيضا . . . أقسم سبحانه بتلك المقسمات العظام على أنه . . .

« ما صاحبكم » أى : ليس نبيكم ، الذى نزل عليه هذا الأمين ، بهذا الكتاب المبين . . .

يعنى : محمداً صلى الله عليه وسلم

« بمجنون » مختل القوى والآلات ، كما زعمتم

إذ زعمكم هذا بالنسبة إليه صلى الله عليه وسلم إنما هو من غاية انحطاطكم ، عن رتبته ، وجهلكم بمكانته

وإلا فهو صلى الله عليه وسلم فى أعلى طبقات الإدراك(١)

---

(١) لفتة ... عالية .. غالية ... تؤكد عظمة العطاء ... الذى أعطاه الله للرجل !

إنه يعلل ما زعمه أهل الباطل من جنون النبى صلى الله عليه وسلم ... بأبى هو وأمى... وأفديه بروحى وما أملك ...

يعلل ذلك بأنه يرجع الى أنهم فى غاية الانحطاط وأنه صلى الله عليه وسلم فى أعلى طبقات الإدراك ! !

وهذا الذى ذهب إليه الرجل فى تعليل ذلك الزعم .. يدل على أنه أوتى فهما لأعماق النفوس ... وإدراكا لحقائقها ...

إن أهل الظلام يرون أهل النور مجانين ... =

— ٢٣ —

وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ .

« و » كيف لا يكون صلى الله عليه وسلم فى أعلى طبقات الإدراك والمعرفة

« لقد رآه » يعنى : قد علم وعرف صلى الله عليه وسلم جبرائيل . .

« بالأفق المبين » الذى هو حضرة العلم الإلهى ولوح قضائه

— ٢٤ —

وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ .

« وما هو » صلى الله عليه وسلم

« على الغيب » الذى أطلعه الحق عليه من الحقائق ، والرموز ، والإشارات المتعلقة بتصفية الظاهر والباطن ، وتخلية السر والضمير ، عن الالتفات إلى الغير مطلقاً

« بضنين » شحيح ، بخيل . . .

سيما بعد ما أمره سبحانه بنشرها وتبليغها

وذلك يرجع الى وجودهم فى الظلمات فهم لا يبصرون ! !

ولو علموا ذرة ... من أنواره صلى الله عليه وسلم ... وأنها لو ذوبت للأت الأرض نوراً ... ما اجترءوا على ما زعموا ! ! !

أو : ما هو صلى الله عليه وسلم على المغيبات التى نطق بها بمقتضى الوحى الإلهى ، وإلهامه . . . بضنين ، متهم ، يتهمه أحد ، وينسبه على الافتراء المستبعد عن علو شأنه ، وعن رفعة قدره ومكانه صلى الله عليه وسلم بمراحل

— ٢٥ —

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ .

« و » كذا

« ما هو » يعنى : القرآن ، الذى هو صلى الله عليه وسلم تكلم به ، ونزل هو عليه صلى الله عليه وسلم

« بقول شيطان رجيم » أى : ما هو شعر ، وكهانة ، ناشئة من شياطين الوهم والخيال ، كما زعمه أهل الزيغ والضلال ، المترددين فى أودية الجهل والغفلة ، وهاوية العناد والجدال

وبعد ما قد لاح عظم شأن القرآن ، ورفعة قدره ، وعلو مكانته

— ٢٦ —

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ .

تعدلون ، وتنصرفون ، عن جادة العدالة الإلهية ، المذكورة المبينة فى هذا الكتاب المبين ، أيها الضالون المضلون

— ٢٧ —

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ .

« إن هو » أى : ما هذا القرآن العظيم

« إلا ذكر » عظيم ، وعظة كبيرة

« للعالمين » أى : بعموم من جبل على فطرة التذكير ، وقابلية الإرشاد والتكميل

— ٢٨ —

لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ .

أى : عظة وتذكير ، لمن قصد الاستقامة ، على صراط العدالة الإلهية ، وتذكر به ، واتعظ بإرشاده وهدايته

— ٢٩ —

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

« و » غاية ما فى الباب أنه

« ما تشاؤن » وتختارون ، طريق الهداية والرشاد لأنفسكم

« إلا أن يشاء الله » لكم هدايتكم ، ويوفقكم على الاستقامة والرشاد ، عناية منه وفضلا

إذ عموم أفعالكم وأحوالكم وأقوالكم ، إنما هى مستندة إلى الله ، صادرة منه سبحانه أصالة . . . إذ هو سبحانه . . .

« رب العالمين » لا مربى فى الوجود سواه . . ولا مدبر للعالم فى الشهود إلا هو

ومقتضى تربيته وتكميله إرشاد عباده ، وتوفيقه إلى ما هو أصلح لهم ، وأليق بحالهم

سورة الانفطار

مكية — وآياتها ١٩ — نزلت بعد النازعات

لا يخفى على من لاح عليه آثار القدرة الغالبة الإلهية وانكشف دونه غناه سبحانه فى ذاته عن عموم مظاهره ومصنوعاته أن جميع ما ظهر وبطن ، غيباً وشهادة ، إنما هو محكوم حكمه المحكم ، وقضائه المبرم

له سبحانه أن يتصرف فيها ، ويقلبها كيف يشاء ، إرادة واختياراً لكنها مرهونة بأوقاتها ، ومسبوقة بأمارات ، مقدرة من عنده سبحانه

ومن تلك العلامات ما ذكره سبحانه فى هذه السورة ...

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ .

« بسم الله » الذى ظهر على ما ظهر ... وبطن حسب قدرته الكاملة الغالبة

« الرحمن » على عموم مظاهره ، بإعطاء الوجودات الإضافية

« الرحيم » عليها ، بنزعها عنها ، عند ظهور الوحدة الذاتية ...

— ١ —

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ .

« إذا السماء » المعبر بها عن العلويات ، المتأثرات عن الأسماء والصفات الإلهية

« انفطرت » انشقت ، وانخرقت

ولم يبق قابليتها للتأثر والاستمداد من الأسماء والصفات الإلهية

— ٢ —

وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ

« وإذا الكواكب » التى قد تعينت عليها بالهويات ، وتكثرت بالهياكل والماهيات

« انتثرت » تفرقت أوضاعها ، وتلاشت أشكالها ، وهيآتها ، واضمحلت أجزاؤها

— ٣ —

وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ .

« وإذا البحار » الكلية ، المستحدثة من الأمواج ، المتراكمة ، المترادفة ، على بحر الوجود الوحدانى

واتصف كل واحـــد منها بالصفات المتنوعة ، مثل اللاهوت والناسوت ، والغيب والشهادة ، والأولى والأخرى

إلى غير ذلك من العوالم التى لا تعد ولا تحصى

« فجرت » انفجرت ، وانفتح بعضها إلى بعض ، وارتفعت صور الأمواج ، واتصل الكل فصار بحراً واحداً وحدانياً فردانياً ، على ما قد كان عليه أزلا وأبداً

— ٤ —

وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ .

« وإذا القبور » والأجداث ... أى : الهويات والتعينات المندرسة المنعكسة ، التى لم يبق فى أجوافها شىء من أمارات عالم الناسوت ، بل عادت على ما عليه كانت من العدم

« بعثرت » بحثرت وقلبت ، وخرج عن مطاويها ما فيها من حصة عالم اللاهوت

— ٥ —

عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ .

« علمت » يومئذ

« نفس ما قدمت » واقترفت ، فى نشأة الاختبار والاعتبار ، من صوالح الأعمال ، ومقابح الأخلاق والأطوار

« و » ما

« أخرت » أهملت وتركت فيها ، من صوالح الأعمال ، ومحاسن الأخلاق والأطوار

ثم نادى سبحانه ، للمظهر الإنسانى ، المصور بصورة الرحمن نداء معاتبة وتخجيل ، على ما عرض عليه من الغفلة والنسيان ، مع أنه قد جبل على فطرة التوحيد والعرفان فقال :

— ٦ —

يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ .

« يا أيها الإنسان » المنعم عليه بأنواع الإحسان

« ما غرك » أى : أى شيء خدعك ، ومكر بك ، حتى جرأك على الكفر والعصيان « بربك الكريم » . . .

— ٧ —

الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ .

« الذى خلقك » أى : أوجدك ، وأظهرك ، وصورك فى أحسن تقويم

« فسواك » أى : سوى أعضاءك وجوارحك سليمة عن مطلق العيوب

« فعدلك » أى : جعلك معتدل المزاج ، متناسب الأعضاء ، مطبوع الهيكل ، مقبول الشكل . . . وبالجملة . . .

— ٨ —

فِى أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ .

« فى أى صورة » حسنة ، وشكل مطبوع ، مرغوب

« ما شاء » وأراد بك

يعنى : فى أى صورة بديعة عجيبة ممتازة ، عن صــــور عموم الحيوانات ، تعلقت بها مشيئته وإرادته سبحانه

« ركبك » عليها

أى : انتخب صورتك من صور جميع المظاهر ، فركبك عليها ، وأظهرك فيها ، لتكون أنت مؤمناً موقناً ، عارفاً موحداً

مع أنك عصيت ، وأشركت معه غيره ، وخرجت عن ربقة عبوديتك مكابرة وعنادا

قيل لفضيل بن عياض : لو أقامك الله تعالى بين يديه يوم القيامة ، فقال : يا فضيل ما غرك بربك الكريم ، ماذا كنت تقول ؟

« قال : أقول : غرّنى ستورك المرخاة . »

وقال يحيى بن معاذ : لو أقامنى بين يديه ، فقال : يا يحيى ، ما غرك بى ؟

« قلت : غرنى برُّك بى ، سالفاً وآنفاً ، يا ربى . »

وقال أبو بكر الوراق : لو قال لى : ما غرك بربك الكريم ؟

« لقلت : كرم ربى الكريم ، وأنا الفقير الحقير ، خادم الفقراء وتراب أقدامهم . »

أقول : لو قال لى ربى : ما غرك بربك ؟

« لقلت : كفالتك بى ، وإحاطتك على ، وكونك سمعى وبصرى ، وعموم قواى ومشاعرى يا ربى . »

ثم قال سبحانه :

— ٩ —

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ .

« كلا » ردعاً للانسان عن الغفلة والاغترار ، بايراد الأعذار الكاذبة

« بل تكذبون » أيها المغترون المسرفون

« بالدين » وبترتب الجزاء على أعمالكم وأخلاقكم ، من حسناتكم وسيآتكم

لذلك غرتكم الحياة المستعارة الدنياوية ، ففعلتم ما فعلتم من المفاسد والمقابح ، بشدة الإنكار والإصرار ، بلا مبالاة وخشية ، من القدير العليم

— ١٠ —

وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ

« وإن عليكم » من قبل الحق

« لحافظين » رقباء

— ١١ —

كِرَامًا كَاتِبِينَ .

« كراماً » أمناء لا يزيدون عليها ولا ينقصون منها لكونهم . .

« كاتبين » مثبتين فى صحف أعمالكم

— ١٢ —

يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ .

« يعلمون » منكم جميع ...

« ما تفعلون » فيقررون عليكم وقت حسابكم ، ثم تجازون على مقتضاها

— ١٣ —

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ .

« إن الأبرار » البارين المبرورين

« لفى نعيم » مقيم ، ومسرة دائمة ، وفوز عظيم

— ١٤ —

وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ .

« وإن الفجار » المسرفين المغترين

« لفى جحيم » معذبين بعذاب أليم

— ١٥ —

يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ .

« يصلونها » ويدخلون فيها

« يوم الدين » والجزاء بعد ما حوسبوا

— ١٦ —

وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ .

« و » بالجملة

« ما هم عنها بغائبين » متحولين ، مفارقين أبداً ... بل صاروا فيها خالدين مخلدين .

ثم أبهم سبحانه ذلك اليوم على السامعين ، تعظيما له وتفخيما ، على سبيل التهويل فقال :

— ١٧ —

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ .

« وما أدراك » وأعلمك أيها المغرور

« ما يوم الدين » وما شأنه الفظيع ، وما شدة هوله وفزعه ؟ !

— ١٨ —

ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ .

« ثم ما أدراك » أيها المغمور الممكور

« ما يوم الدين » وما يجرى عليك فيها من الشدائد والأهوال ، وأنواع الهموم والأحزان ... وبالجملة ...

يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ .

« يوم » وأى يوم يوم

« لا تملك » تنفع وتدفع

« نفس لنفس » حميم لحميم ، وصديق لصديق

« شيأ » مما حكم عليها ، واستحق لها من الجزاء

بل كل نفس رهينة بما كسبت ، مشغولة بما اقترفت

بلا التفات منها إلى غيرها ، من شدة هولها وحزنها

« و » بالجملة

« الأمر » أى : عموم أمور العباد ، وما جرى عليهم من الثواب

والعقاب كله

« يومئذ لله » مختصة به ، موكولة بمشيئته ، مفوضة إلى إرادته ،

يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، فضلا وعدلا ، لا يسأل عن فعله ،

إنه حكيم حميد .

سورة المطففين

مكية — وآياتها ٣٦ — نزلت بعد العنكبوت

وهى آخر سورة نزلت بمكة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » المستوى على صراط العدالة والتقويم

« الرحمن » لعموم عباده ، بوضع القسطاس القويم

« الرحيم » لخواصهم ، يهديهم إلى صراط مستقيم

— ١ —

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ .

« ويل » عظيم ، وعذاب أليم

« للمطففين » الذين ينقصون المكيال والميزان ، ويبخسونه حقوق الناس

سماهم سبحانه مطففين لأنهم يسرقون من الحقوق طفيفاً . . أى : قليلا حقيراً ، على وجه الدناءة والخساسة

وهو من أخس الأفعال الذميمة ، وأدناها وأخبثها .

وفى الحديث صلوات الله وسلامه على قائله : « خمس بخمس ،

ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر . »

والمطففون هم الذين . . .

— ٢ —

الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ .

« الذين » المطففون هم الذين

« إذا اكتالوا على الناس » أى : أخذوا منهم لأنفسهم

« يستوفون » الكيل ، ويزيدون على المكيال قليلا قليلا ؛ ترجيحاً لأنفسهم عليهم

— ٣ —

وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ .

« وإذا كالوهم » أى : الناس

« أو وزنوهم » لأجلهم

« يخسرون » ينقصون منه قليلا قليلا . . . ترجيحا لغبطتهم عليهم . . . مع أن وضع الكيل والوزن إنما هو للتسوية والتعديل !

ثم قال سبحانه على سبيل التعجب والتشنيع :

— ٤ —

أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ .

« ألا يظن » ولا يزعم ولا يشك

« أولئك » المسرفون المفرطون بارتكاب هذه الخصلة الذميمة ، مع أن المناسب لهم أن يجزموا ويستيقنوا « أنهم مبعوثون » . . .

— ٥ —

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ .

أنهم مبعوثون ليوم عظيم . . . لعظم ما فيه من الشدائد والأهوال، وأنواع الأفزاع والأحزان ، سيما على أهل العصيان والفساد ، إذ هم يفتضحون على رؤوس الأشهاد

— ٦ —

يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ .

« يوم يقوم الناس » بأجمعهم لأجل العرض

« لرب العالمين » ليحكم عليهم سبحانه بمقتضى السؤال والحساب ، إما بالجنة أو بالنار

ثم قال سبحانه :

— ٧ —

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ .

« كلا » ردعاً للمطففين ، بفجورهم وخروجهم عن مقتضى الحدود الإلهية ، الموضوعة فيما بينهم بالقسط والعدالة

يعنى : كيف يخرجون عن مقتضاها ؟ !

« إن كتاب الفجار » أى : ما ثبت فيه من تفاصيل أعمالهم وأفعالهم وأخلاقهم وأطوارهم المذمومة ، كلها مضبوطة فيه ، محكوم عليهم من قبل الحق حينئذ ، بمقتضى ما ثبت فى كتبهم وصحائف أعمالهم ، أنهم . . .

« لفى سجين » أى : مقرهم فى الدرك الأسفل من النار

ثم أبهمه سبحانه تهويلا وتفخيما فقال :

— ٨ —

وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ .

« وما أدراك » أيها المسرف المفرط

« ما سجين » ما لم تقع فيه ، ولم تذق من عذابه ونكاله

وبالجملة كتاب الفجار . . .

— ٩ —

كِتَابٌ مَّرْقُومٌ .

« كتاب » وأى كتاب ؟ ! . . . كتاب . . .

« مرقوم » محرر مسطور بين الرقوم والرسوم

يعرفه من نظر إليه ، أن لا خير فيه ، ولا نفع فى ضمنه

بل إنما هو فى بادى الرأى مشعر بأنواع العذاب والعقاب . . .

وبالجملة . . .

— ١٠ —

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ .

« ويل » عظيم

« يومئذ » أى : يوم أعطى ذلك الكتاب

« للمكذبين » له فى النشأة الأولى ، وبواسطة تكذيبهم وإنكارهم به ، يرتكبون من الجرائم والمعاصى ما لا يعد ولا يحصى

وبالجملة هؤلاء المسرفون المفرطون . . .

— ١١ —

الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ .

والجزاء ، وبجميع الأمور الأخروية ، من السؤال والحساب وإعطاء الكتب ، وسائر المعتقدات الأخروية

— ١٢ —

وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ .

« و » بالجملة

« ما يكذب به » سيما بعد نزول الآيات القاطعة والبراهين الساطعة ، الدالة على وقوع يوم القيامة ، والطامة الكبرى ، الموعودة من قبل الحق ، بالحق ، على أهل الحق

« إلا كل معتد » عن الحد فى الإفراط والغلو ، منكر لكمال قدرة الله ، وإحاطة علمه ، حتى أنكر القدرة على الإعادة ، مع أن الإبداء الإبداعى مقدور قدرته الغالبة أيضا

« أثيم » متبالغ فى الغفلة ، بارتكاب الشهوات المعمية لعيون بصائره ، عن إدراك آثار القدرة الغالبة الإلهية ، الفائتة للحصر والإحصاء مع أن كل واحدة من تلك الاثار دليل مستقل على إمكان الإعادة عند المتأمل المنصف

إلا أن المنكر مكابر لمقتضى عقله ، وما أجراه وأغراه على الإنكار والإصرار إلا شياطين الأوهام والخيالات الموروثة له ، من الف الطبيعة ، ورسوخ العادات المبنية على التقليدات ، الراسخة المتقررة فى قلوب أصحاب الغفلة والضلال . . . لذلك . . .

— ١٣ —

إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ .

« إذا تتلى » وتقرأ

« عليه آياتنا » الدالة على كمال قدرتنا ، واختيارنا ، واستقلالنا في عموم المرادات ، والتصرفات الواقعة فى ملكنا وملكوتنا[١]

« قال » من فرط جهله ، ونهاية غفلته ، وإعراضه عن الحق وأهله

ما هى إلا . . .

«أساطير الأولين» أى : أكاذيبهم ، المسطورة فى دواوينهم[٢] ، المختلقة المختلفة

ثم قال سبحانه :

— ١٤ —

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ .

« كلا » ردعا من هذا الافتراء والمراء . . . على سبيل الإنكار والاستهزاء

---

(١) من أجل ما قيل فى الملك والملكوت . أن الملك : هو ما ظهر للخلق . . . والملكوت : هو ما بطن أو غاب عن الخلق . . .

(٢) الدواوين : السجلات والكتب

يعنى : ما هذه الآيات البينات من المفتريات الباطلة ، كما زعمها أولئك البغاة الطغاة ، الهالكون فى تيه البغى والطغيان ، وبيداء الغى والعدوان

« بل ران » يعنى : بل قد ظهر وحدث فى نفوسهم رين الغفلة ، وصدأ الجهل والضلال ، وازداد وغلب حتى علا وأحاطه

« على قلوبهم » فكثفها ، وكدرها ، إلى حيث أظلمها وسوّدها

ولم يبق فيها لمعة من بياض نور الإيمان

وما ذلك إلا بسبب . . .

« ما كانوا يكسبون » من المعاصى والشهوات ، المذهبة لجودة الفطرة الأصلية ، والفطنة الجبلية ، التى فطروا عليها فى أصل الخلقة ، ثم قال سبحانه :

— ١٥ —

كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ .

« كلا » ردعاً لهم عن ارتكاب اقتراف الرين المصدىء بقلوبهم كيف يكسبونه مع أنهم قد جبلوا على فطرة الإيمان والتوحيد ؟ !

« إنهم » أولئك المفسدين المسرفين

« عن ربهم » الذى رباهم لمصلحة المعرفة والإيمان

« يومئذ » أى : يوم اقتراف المعاصى الرائنة

« لمحجوبون » عن الله ، وعن ظهور نوره اللامع ، فى صفائح الأنفس والآفاق

مع أنه لا سترة له سبحانه ، ولا حجاب ، فى حال من الأحوال إلا أن خفافيش بقعة الإمكان ، لا يرون شمس ذاته اللامعة ، بواسطة غيوم هوياتهم الباطلة ، وتعيناتهم العاطلة[1] !

— ١٦ —

ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ .

« ثم إنهم » بعد ما حجبوا من الله ، وحرموا عن مطالعة وجهه الكريم

---

(١) ما شاء الله !!!

الرجل يسرى ... ويجرى .. فى أعماق الحقائق العليا ... كما يسرى النسيم الجميل والهواء العليل !!!

يقول « يومئذ » أى : يوم اقتراف المعاصى

أى : كل إنسان وقت ارتكابه معصية ما ...

يحدث له فوراً ... وأوتوماتيكياً ما يأتى : «لمحجوبون» أى يحجب فوراً ...

أى المعصية حجاب !

ما معنى : المعصية حجاب ؟

أى : المعصية : ظلمة فى القلب !!!

وفى هذا كفاية ... لأن ما وراء ذلك لا يطيقه الأكثرون !!!

« لصالوا الجحيم » أى : داخلوها ، وخالدون فيها أبدا

\- ١٧ -

ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ .

« ثم يقال » لهم تعييراً عليهم ، وتشديداً لعذابهم من قبل الحق حينئذ

« هذا » العذاب هو العذاب

« الذى » قد

« كنتم به تكذبون » فى سالف الزمان ، مصرين على تكذيبه وإنكاره ، بل مستهزئين به منهمكين

ثم كرر سبحانه لفظة . . . « كلا »

\- ١٨ -

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ .

« كلا » ردعاً لهم بعد ردع . . . تقريعاً وتأكيداً . . . وليكون توطئة وتمهيداً . . . لتعقيب وعيدهم بوعد المؤمنين

مع أن فى هذا التعقيب زيادة زجر وتقريع عليهم ، لما اقترفوا من الآثام والعصيان ، المؤدية لهم إلى دار الندامة والحرمان ، فقال :

« إن كتاب الأبرار » أى : ما كتب فيه عموم آثارهم الصالحة ،

الصادرة عنهم إيماناً واحتساباً ، ثقة بالله ، وخوفاً من غضبه ، محفوظ فيه جميع ما ذكر ، محكوم عليهم بمقتضى ما فيه أنهم . . .

« لفى عليين » أى : هم متمكنون فى أعلى درجات الجنان ، وأرفع غرفها

ثم أبهمه سبحانه تعظيما وتفخيما فقال :

— ١٩ —

وَمَا أَدرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ .

« وما أدراك » أيها البار المبرور

« ما عليون » وما شأنه الرفيع ، ومكانه البديع ، وما فيه من اللذات الروحانية ، التى من لم يذقها لم يعرفها .

رزقنا الله الوصول إليها ، والحصول دونها . . . وبالجملة . . .

— ٢٠ —

كِتَابٌ مَّرْقُومٌ .

« كتاب » للأبرار كتاب

« مرقوم » بين الرقوم والرسوم بحيث . . .

— ٢١ —

يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ .

أي : أرباب العناية والتوفيق

فيعلمون من عنوانه ، ان ما فيه خير كله ، بمجرد رؤيتهم وشهودهم في بادى النظر ... وبالجملة ...

— ٢٢ —

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ .

« إن الأبرار » البارين على الله ، المبرورين بين الناس

« لفى نعيم » مقيم

— ٢٣ —

عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ .

« على الأرائك » متكئين على الأرائك ... المصورة من صالحات أعمالهم ، وصفاء عقائدهم وأخلاقهم

« ينظرون » إلى ما يسرهم ويفرحهم ، من الصور الحسنة ، والمتنزهات البهية البديعة ، بحيث ...

— ٢٤ —

تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ .

« تعرف » أنت أيها الرائى

« فى وجوههم » فى بادى الرأى

« نضرة النعيم » بهجة التنعم ، وبريق الرضاء والتسليم ،
ومع ذلك ...

— ٢٥ —

يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ .

« يسقون من رحيق » خمر من خمور المحبة والولاء

« مختوم » مطبوع عليه ، حفظاً له عن غيرهم ، بحيث لا يشمون روائحه أصلا

— ٢٦ —

خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ .

« ختامه مسك » أى : روائحه الواصلة إليهم من قبل كشفهم عنه كالمسك ، بلا كراهة وبشاعة كخمور الدنيا

« وفى ذلك » أى : فى رحيق التحقيق ، وكأس المحبة والتصديق

« فليتنافس المتنافسون » أى : فليرغب الراغبون ، لنفاسته وسرعة سوغانه وانحداره ، وكمال لذته وذوقه

— ٢٧ —

وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ .

« ومزاجه » أى : ما يمزج به ، ويخلط من ماء المعارف ، منتشأ

« من تسنيم » أى : من مقام عال ، هو ينبوع بحر الوجود ، الذى هو عين الوحدة الذاتية الإلهية ، فكان . . .

— ٢٨ —

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ .

« عيناً » وأى عين ؟ . . . عيناً . . .

« يشرب بها المقربون » أى : يشرب عنه بمائها وفراتها من تقرب نحو الحق ، باليقين الحقى

فإنهم يشربون من عين الوحدة ، بلا مزج وخلط

أذقنا حلاوة نعيمك ، وبرد يقينك ، وشربة تسنيمك ، يا خير الرازقين .

— ٢٩ —

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ .

« إن » المشركين المسرفين

« الذين أجرموا » بالجرائم العظام ، الموجبة لأنواع الانتقام . . . من جملتها أنهم قد . . .

« كانوا من » المخلصين

« الذين آمنوا يضحكون » ويستهزؤن بفقراء المؤمنين

— ٣٠ —

وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ·

« وإذا مروا بهم » متهكمين

« يتغامزون » أى : يغمز بعضهم بعضاً ، ويشيرون بأعينهم كبراً عليهم وخيلاء

— ٣١ —

وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ .

« وإذا انقلبوا » ورجعوا

« إلى أهلهم » وأماكنهم دخلوا مع إخوانهم

« انقلبوا » وصاروا

« فكهين » متلذذين متهكمين ، بما رأوا من شيم المؤمنين ... من صلواتهم وخشوعهم فيها ... وضراعتهم واستكانتهم ... وتواضعهم مع إخوانهم

— ٣٢ —

وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ .

« و » هم من شدة شكيمتهم وغيظهم

« إذا رأوهم » أى : المؤمنين

« قالوا » مستهزئين

« إن هؤلاء » السفلة ، المستحسنين أفعالهم

« لضالون » منحرفون عن مقتضى الرشـــــد والهداية ، بمتابعة هذا المجنون !

يعنون الرسول صلى الله عليه وسلم !!!

— ٣٣ —

وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ .

« و » هم يقولون هكذا من كمال ضلالهم فى أنفسهم ، بل من شدة حسدهم عليهم ، مع أنهم . . .

« ما أرسلوا عليهم » أى : على المؤمنين

« حافظين » يحفظون عليهم أعمالهم ، ويشهدون بهدايتهم أو ضلالهم

بل الأمر بالعكس . . .

— ٣٤ —

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ .

« فاليوم » أى : اليوم الموعود المعهود ، الذى هو يوم القيامة

« الذين آمنوا » بالله ، وصدقوا بالآخرة ، وبجميع الأمور الموعودة فيها

« من الكفار » المصرين على العناد والإنكار

« يضحكون » أى : يضحك المؤمنون يومئذ من حال الكافرين على عكس ما كانوا عليه فى النشأة الأولى ، إذ يرونهم أذلاء صاغرين ، مغلولين معذبين ، فى نار القطيعة ، بأنواع الحسرة

وهم : أى المؤمنون حينئذ متكؤن

— ٣٥ —

عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ .

« على الأرائك » المعـــــدة لهم ، جزاء ما يتكاون على الله ، ويتكؤن إلى فضله وإحسانه ... مواظبين على أداء المأمورات ، وترك المنكرات ... صابرين على متاعب الطاعات ، ومشاق التكاليف ، القالعة لعرق مطلق المستلذات الجسمانية ، والمشتهيات النفسانية

« ينظرون » حينئذ بنور الإيمان ، وصفاء اليقين والعرفان ... إلى وخامة عاقبة أصحاب الكفر والكفران... ويشكرون نعمة الإيمان والإحسان

- ٣٦ -

هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ .

« هل ثوب الكفار » وأثيبوا بما عملوا ثواباً . . . والحال أنهم قد جوزوا يومئذ بأسوء الجزاء بسبب . . .

« ما كانوا يفعلون » من الاستهانة والاستهزاء بالمؤمنين . . . ومن ضحكهم بأعمالهم ، وتغامزهم فيما بينهم بعيونهم تهكماً عليهم .

جعلنا الله من زمرة من بصرهم سبحانه بعيوب أنفسهم ، وأعماهم من عيوب غيرهم ، بمنّه وجوده

سورة الانشقاق

مكية — وآياتها ٢٥ — نزلت بعد الانفطار

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

« بسم الله » الذى ظهر على عموم التعينات فى بدأ الوجود ، بمقتضى الجود

« الرحمن » عليها ، بإمدادها ، وإبقائها ، إلى اليوم الموعود

« الرحيم » على خواص عباده ، يوصلهم إلى مرتبة الكشف والشهود

— ١ —

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ .

« إذا السماء » أى سماء عالم الطبيعة

« انشقت » وانخرقت ، لتصعد ، وتعرج الأرواح الفائضة ، إلى الأشباح ، نحو سماء الأسماء والصفات ، بعد خرق التعينات ، ورفع الإضافات

— ٢ —

وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ .

« وأذنت لربها » أى اصغت ، وانقادت لحكم ربها وأمره . . . الذى قد مضى منه سبحانه على انشقاقها

« و » بعد ما أمرت

« حقت » لها ولاقت بحالها

أى : امتثلت بالمأمور وانقادت

— ٣ —

وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ .

« وإذا الأرض » أى : أرض الطبيعة والهيولى ، القابلة المجبولة القبول انعكاس تأثيرات الأسماء والصفات

« مدت » قد امتدت ، وانبسطت ، وانتشرت مطاويها

— ٤ —

وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ .

« وألقت » أخرجت وأظهرت

« ما فيها » من النفوس المودعة ، القابلة لفيضان أنوار الذات

« وتخلت » عن حفظ الأمانة الإلهية

— ٥ —

وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ .

« وأذنت لربها » فى الإلقاء والتخلية

« و » قد

« حقت » لها الاستيذان والإصغاء لاقتضاء مرتبة العبودية ذلك فحينئذ قد انكشف لها جزاء ما كسبت واقترفت فى نشأة الاختبار .

ثم نادى سبحانه الإنسان نداء تنبيه ، وتخطئة ، وتحريك حمية فطرية ، وسلسلة جبلية ، فقال :

— ٦ —

يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ .

« يا أيها الإنسان » المصور على صورة الرحمن ، المنتخب من بين سائر المظاهر ، لحكمة الخلافة والنيابة ، ومصلحة المعرفة والتوحيد فاعرف قدرك ، ولا تغفل عن حقيقتك.

« إنك كادح » جاهد ، للتقرب ، والوصول

« إلى ربك كدحا » وجهداً وسعياً منتهياً إلى إفناء هويتك ، في هوية الحق ، وبالجملة

« فملاقيه » يعني : أنت أيها الإنسان ملاق ربك بمقتضى سعيك واجتهادك

فلك أن لا تفترق عما يوصلك إليه ، ويفنيك فيه ، بعد جذب من جانب الحق ، وتوفيق من لدنه ، لتكون أنت من أرباب اليمين والكرامة ، الموسومين بأصحاب اليمين ، الذين لهم صحف أعمالهم من قبل أيمانهم ، التي هي علامة إيمانهم وعرفانهم

— ٧ —

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ .

« فأما من أوتي كتابه » الطاوي ، المشتمـــل على تفاصيل ما صدر عنه.

« بيمينه » التى هو عنوان اليمن ، وعلامة الكرامة ، وبرهان الرضوان

— ٨ —

فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا .

سهلا سريعاً

— ٩ —

وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا .

« وينقلب » ويرجع هو بعد الحساب

« إلى أهله » الذى هم رفقاؤه فى سبيل السعادة والكرامة ، الموصلة إلى فضاء عالم اللاهوت ، وصفاء الوحدة الذاتية التى هى عبارة عن ينبوع بحر الوجود

« مسروراً » مبسوطا فرحانا

— ١٠ —

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ .

وشماله ... التى هو عنوان الشقاوة ، ودليل العتاب والعقاب ، وأنواع الملالة والندامة

— ١١ —

فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا .

« فسوف يدعو » ويتمنى هو لنفسه

« ثبوراً » ويلا وهلاكا ، لصعوبة حسابه ، وغلبة سيآته على حسناته

— ١٢ —

وَيَصْلَى سَعِيرًا .

« و » بالآخرة

« يصلى » يدخل ، ويطرح صاغراً ذليلا

«سعيراً» مسعرة ، مملوة بنيران الشهوات والغفلات ، الصادرة منه بمتابعة الأوهام والخيالات ، وأنواع الضلالات والجهالات ، الناشئة من القوة البهيمية ، الحاصلة من طغيان الطبيعة ، وثوران لوازم الإمكان

— ١٣ —

إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا .

« إنه » قد

« كان في أهله » في دار الدنيا

« مسروراً » بطراً فرحانا ، فخوراً بالمال والجاه والثروة والسيادة ،

متفوقاً على الأقران ، يمشى على الأرض خيلاء ، وإنما حمله عليه ...

— ١٤ —

إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ .

« إنه ظن » بل قد تيقن وجزم ، جهلا مركباً وعناداً

« أن لن يحور » أى : أنه لن ينقلب ، ولن يرجع إلى الله ، ولن يقوم بين يديه سبحانه للحساب والجزاء ... لذلك اجـــترأ على ما اجترأ من المعاصى .

ثم قال سبحانه :

— ١٥ —

بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا .

« بلى » ردعاً عما قبله ... تصديقا لما بعده ... على سبيل التعريض

« إن ربه » الذى رباه على فطرة المعرفة ، وجبله على نشأة التوحيد ، قد ...

« كان به بصيراً » عالما بتفاصيل أعماله الصادرة عنه ، على وجه الخبرة والبصارة ، بحيث لا يشذ عن حيطة علمه شىء من أعماله وأحواله، فلا يهمله ، بل يعده عليه ويفصله له ، ويعيده ، ويجازيه حسب ما فصله .

ثم قال سبحانه :

— ١٦ —

فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ .

« فلا أقسم » لإتيان يوم القيامة ، ولإثبات ما فيها من الثواب والعقاب ، والجزاء والحساب ، وغير ذلك ... إذ هى أمور ظاهرة مكشوفة .. .عند ذوى الكشف والشهود ، من أرباب المحبة والولاء ...

الواصلين إلى بحر الوحدة ، وينبوع الحقيقة ... بل أقسم ...

« بالشفق » المنبىء عن الشفقة والترحم الإلهى ...

وهو عبارة عن البياض المعترض من أفق عالم اللاهوت ، عند انقضاء نشأة الناسوت ، حين حكم سبحانه بانطواء سجلات عموم التعينات ، ومطلق الهويات

— ١٧ —

وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ .

« والليل » أى : أقسم بالليل ... أى : مرتبة العماء الإلهى

« وما وسق » أى : ما ضم ، وجمع ، من الأنوار المنعكسة منها ، إلى هياكل الأشباح

— ١٨ —

وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ .

« والقمر » أى : أقسم أيضاً بالقمر

أى : الوجود الظلى الكلى الإضافى ، المنبسط على مرآة العدم ، المنعكس من شمس الذات الأحدية ، المتشعشعة ، المتجلية من مطالع فضاء العماء اللاهوتية

« إذا اتسق » تم وعم وشمل الكل ، وصار بدراً كاملا بلا نقصان(١)

— ١٩ —

لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ .

« لتركبن » أيها المكافون ، ولتطرحن فى نار القطيعة والحرمان « طبقاً » بعد طبق ، متجاوزا

« عن طبق » بعيد عنه ، متجاوز فى شدة الأهوال والأفزاع ، وبعد الغور والطور والحرقة ، وأنواع العذاب والنكال

وبالجملة ... بحق هذه المقسمات العظام لدخلتم أنتم البتة فى طبقات

---

(١) تأمل ، واشهق طويلا عميقا : سبحان الذى أعطى فأوسع العطاء !!!

النيران ، لو كفرتم بالله ، وعصيتم أمره ، وخرجتم عن مقتضى حدوده وأحكامه

وبعد ما سمعوا ما سمعوا من الصادق الصدوق

— ٢٠ —

فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ .

« فما لهم » أى : أى شيء عرض عليهم ولحق بهم

« لا يؤمنون » ولا يتصفون بالانقياد والتسليم ... سيما بعد ورود الزواجر من قبل الحق ، على ألسنة الرسل والكتب

— ٢١ —

وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (١) .

« و » من كمال غفلتهم عن الله وضلالهم عن سنن الهداية والرشد

« إذا قرئ عليهم القرآن » المبين لطريق الحق ، وسبيل الإيمان والعرفان

« لا يسجدون » أى : لا يخضعون ، ولا يتذللون له ، مع أنه إنما نزل لهدايتهم وإرشادهم

---

(١) سجدة تلاوة لغير مالك

بل يكذبونه ، وينكرون نزوله ، عناداً ومكابرة ، فكيف التذلل والخضوع ؟

— ٢٢ —

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ .

به ، وبمنزله ، وبمن أنزل إليه ، جميعاً

— ٢٣ —

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ .

« و » بالجملة

« الله » المطلع لعموم ما فى ضمائر عباده

« أعلم » بعلمه الحضورى

« بما يوعون » أى : بجميع ما يضمرونه فى نفوسهم من الكفر والكفران ، وأنواع البغى والعدوان ، والغفلة والطغيان . . . على مقتضى علمه بهم ، وبخبرته بما فى نفوسهم . . . وبالجملة . . .

— ٢٤ —

فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ .

« فبشرهم » يا أكمل الرسل ، بشارة على سبيل التهكم والاستهزاء

« بعذاب أليم » نازل عليهم ، حين أخذوا بعصيانهم وآثامهم

— ٢٥ —

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ .

« إلا الذين آمنوا » منهم ، وخرجوا عن ورطة الطغيان ، متمسكين بعروة الإيمان ، متشبثين بحبل القرآن

« و » مع ذلك قد

« عملوا الصالحات » المقبولة عند الله

« لهم » عند ربهم

« أجر » عظيم

« غير ممنون » أى : غير متطوع ومنقوص ، ان أخلصوا فى إيمانهم وإذعانهم

سورة البروج

مكية — وآياتها ٢٢ — نزلت بعد الشمس

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » المتجلى ، فى عموم المجالى ، بمقتضى أسمائه وصفاته ، إظهاراً لقدرته الغالبة الكاملة

« الرحمن » للكل ، تتميما لتربيته الشاملة

« الرحيم » لنوع الإنسان ، تعظيما لحكمته المتقنة ، ومصلحته المستحسنة ، المودعة فى نشأته

— ١ —

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ .

« والسماء » أى: بحق سماء الأسماء والصفات ، المتشعشعة ، المتجلية فى عالم اللاهوت

« ذات البروج » من النفوس القدسية ، القابلة لانعكاسها ، وتشعشعها ، المستعدة لفيضان أنوارها الذاتية

— ٢ —

وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ .

للانجلاء الكامل ، والانكشاف التام ، المنعكس عن عالم العماء ، عند ارتفاع سدول الأسماء والصفات عن البين

— ٣ —

وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ .

« و » اتحاد

« شاهد ومشهود » فى العين . . . انكم أيها المحجوبون عن الله ،

المطرودون عن ساحة عز حضوره ، الملعونون المردودون ، من كنف قربه وجواره . . .

يعنى كفار مكة لعنهم الله ، لأن السورة نازلة فى تثبيت المؤمنين على أذاهم . . . كما

— ٤ —

قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ .

« قتل » ولعن

« أصحاب الأخدود » الخد : الشق فى الأرض وغيرها . . .

روى أنه كان لملك ساحر ، فلما كبر ضم إليه غلاماً سيعلمه

« وكان فى طريق الغلام راهب ، يستمع منه كلاما

« فرأى فى طريقه يوماً حية ، قد حبست الناس

« فأخذ الغلام حجراً ، فقال : اللهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها

« فضربها ، فقتلها

« وكان بعد ذلك يبرئ الأكمه والأبرص ويشفى المريض

« فعمى جليس الملك ، فأبرأه ، فأسلمه

« فسأله الملك : من أبرأك ؟

« فقال : ربى

« فغضب الملك عليه ، فعذبه ، فدل على الغلام ، فعذبه ، فدل على الراهب

« فقدّه بالمنشار

« وذهب بالغلام إلى جبل ليطرحه من أعلاه ، فرجف بالقوم ، فطاحوا ، ونجا الغلام

« وذهب به إلى سفينة ليغرق ، فانكفأت السفينة بمن معه ، ونجا

« وقال الغلام للملك : لست بقاتلى ، حتى تأخذ سهماً من كنانتى، وتقول : بسم الله رب الغلام ، ثم ترمينى به

« فرماه ، فقال : بسم الله رب الغلام

« فأصاب صدغه ، فوضع عليه يده ، فمات

« فآمن الناس برب الغلام

« وقيل للملك : نزل بك ما قد كنت تحذر

« فأمر بحفر أخاديد ، فأوقدت فيها النيران

« فمن لم يرجع منهم عن دين الغلام طرحه فيها

« حتى جاءت امرأة معها صبى رضيع فتقاعست

« فقال الرضيع ، بإلهام إياه ، مع أنه فى غير أوان تكلمه ، مثل عيسى النبى صلى الله عليه وسلم : يا أماه ، اصبرى ، فإنك على الحق

« فاقتحمت فى النار . »

هذه الأقصوصية الخالدة . . . وردت بتمامها مفصلة ... عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . فى نهاية صحيح مسلم . . . وها هو نص الحديث :

« عن صهيب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« كان ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك إنى قد كبرت ، فابعث إلىّ غلاماً أعلمه السحر

« فبعث إليه غلاماً يعلمه

« فكان فى طريقه إذا سلك راهب ، فقعد إليه ، وسمع كلامه فأعجبه

« فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه

« فشكى ذلك إلى الراهب

« فقال : إذا خشيت الساحر فقل : حبسنى أهلى ، وإذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر

« فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس ، فقال اليوم أعلم : الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟

« فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة ، حتى يمضى الناس

« فرماها ، فقتلها ، ومضى الناس

« فأتى الراهب فأخبره

« فقال له الراهب : أى بنىّ ، أنت اليوم أفضل منى ، قد بلغ من أمرك ما أرى ، وإنك ستبتلى ، فإن ابتليت فلا تدل علىّ

« وكان الغلام يبرىء الأكمه ، والأبرص ، ويداوى الناس من سائر الأدواء

« فسمع جليس للملك كان قد عمى ، فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال : ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتنى

« فقال : إنى لا أشفى أحداً ، إنما يشفى الله

« فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك

« فآمن بالله ، فشفاه الله

« فأتى الملك ، فجلس إليه كما كان يجلس

« فقال له الملك : من رد عليك بصرك ؟

« قال : ربى

« قال : ولك رب غيرى ؟ !

« قال : ربى وربك الله

« فأخذه ، فلم يزل يعذبه ، حتى دل على الغلام

« فجئ بالغلام ، فقال له الملك : أى بنىّ ، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص ، وتفعل وتفعل ؟

« فقال : إنى لا أشفى أحداً ، إنما يشفى الله

« فأخذه ، فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب

« فجئ بالراهب

« فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى

« فدعا بالمئشار ، فوضع المئشار فى مفرق رأسه ، فشقه ، حتى وقع شقاه

« ثم جئ بجليس الملك ، فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى

« فوضع المئشار فى مفرق رأسه ، فشقه به ، حتى وقع شقاه

« ثم جئ بالغلام

« فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى

« فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا ، فاصعدوا به الجبل ، فإذا بلغتم ذروته ، فإن رجع عن دينه ، وإلا فاطرحوه

« فذهبوا به ، فصعدوا به الجبل

« فقال : اللهم اكفنيهم بم شئت

« فرجف بهم الجبل

« فسقطوا

« وجاء يمشي إلى الملك

« فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟

« قال : كفانيهم الله

« فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به ، فاحملوه في قرقور، فتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه ، وإلا فاقذفوه

« فذهبوا به

« فقال : اللهم اكفنيهم بم شئت

« فانكفأت بهم السفينة ، فغرقوا

« وجاء يمشي إلى الملك

« فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟

« قال : كفانيهم الله

« فقال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به

« قال : وما هو ؟ !

« قال : تجمع الناس في صعيد واحد ، وتصلبني على جذع

« ثم خذ سهما من كنانتي

« ثم ضع السهم فى كبد القوس

« ثم قل : باسم الله رب الغلام ، ثم ارمنى

« فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى

« فجمع الناس فى صعيد واحد ، وصلبه على جذع

« ثم أخذ سهما من كنانته

« ثم وضع السهم فى كبد القوس

« ثم قال : باسم الله رب الغلام

« ثم رماه ، فوقع السهم فى صُدغه

« فوضع يده فى صُدغه ، فى موضع السهم

« فمات

« فقال الناس : آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام

« فأُتِىَ الملك ، فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر ؟ . قد والله نزل بك حذرك ، قد آمن الناس !

« فأمر بالأخدود فى أفواه السكك

« فخدَّت ، وأضرم النيران

« وقال : من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها

« أو قيل له اقتحم

« ففعلوا

« حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها ، فتقاعست أن تقع فيها

« فقال لها الغلام : يا أمّه اصبرى ، فإنك على الحق . »

هذا هو الحديث العظيم الخالد ، الذى قص فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أقصوصة أصحاب الأخدود الخالدة ، وما كان من ذلك البطل الخالد العظيم ... ذلك الغلام العجيب ! ! !

وإنها لتلقى أنواراً ... وأبعاداً جديدة ... وأعماقاً أدق وأرق وأشف ... فى تفسير السورة ...

قال النووى فى شرح الحديث : هذا الحديث فيه إثبات كرامات الأولياء

« وفيه جواز الكذب فى الحرب ونحوها وفى إنقاذ النفس من الهلاك سواء نفسه أو نفس غيره ممن له حرمة

« والأكمه : الذى خلق أعمى

« والمئشار ، والمنشار ، لغتان صحيحتان

« وذروة الجبل أعلاه ، وهى بضم الذال وكسرها

« ورجف بهم الجبل : أى اضطرب وتحرك حركة شديدة ... وعن بعضهم : فزحف وهو بمعنى الحركة

« والقرقور : السفينة الصغيرة

« وانكفأت بهم السفينة : أى انقلبت

« والصعيد هنا الأرض البارزة

وكبد القوس مقبضها عند الرمى

نزل بك حذرك : أى ما كنت تحذر وتخاف

« والأخدود : الشق العظيم فى الأرض وجمعه أخاديد

« والسكك : الطرق ، وأفواهها : أبوابها

« من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها : ارموه فيها من قولهم حميت الحديدة وغيرها إذا أدخلتها النار لتحمى . وفى بعض النسخ فاقحموه ، ومعناه اطرحوه فيها كرهاً

« فتقاعست : أى توقفت ولزمت موضعها وكرهت الدخول فى النار .]

— ٥ —

النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ .

« النار » فاقتحمت فى (النار) . . . بدل من لفظة الأخدود ، بدل اشتمال

« ذات الوقود » والحطب الكثير ، تهويلا عليهم بشدة التهابها

وسورتها ، لينزجروا عما اختاروا ، ويعودوا عن الإسلام والتوحيد

ثم لما طرح المؤمنون فيها ، التهبت النار التهاباً شديداً ، وخرجت على أطرافها ، فأحرقت كثيراً من صناديد أولئك الظلمة

— ٦ —

إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ .

« إذ هم عليها » وفى أطرافها

« قعود » قاعدون على الكراسي حول النار

— ٧ —

وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ .

« وهم » أى : رؤساؤهم

« على ما يفعلون » أى : الموكلون

« بالمؤمنين » من الأخذ والإفناء

« شهود » وعدول مشرفون من قبل الملك ، أمناء من جانبه ، أقعدهم حوله لئلا يتهاون الأعونة فى إهلاك المؤمنين وطرحهم فى النار

— ٨ —

وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ .

« و » بالجملة

« ما نقموا » وما انتقموا أولئك الظالمون المنهمكون فى بحر الغى والطغيان والعدوان

« منهم » أى : من المؤمنين ، بهذا الانتقام الصعب الهائل

« إلا » أنهم كرهوا منهم ، واستنكروا عليهم

« أن يؤمنوا بالله » الواحد الفرد الأحد الصمد الحى القيوم ، الحقيق بالإيمان والإطاعة

« العزيز » الغالب القاهر على من دونه من السوى والأغيار مطلقا

« الحميد » المستحق لأصناف الأثنية والمحامد ، استحقاقاً ذاتياً ووصفياً

وكيف لا يكون سبحانه عزيزاً حميداً مع أنه القادر ؟

— ٩ —

الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ .

« الذى له » وفى حيطة قدرته وإرادته

«ملك السماوات والأرض» أى : مظاهر العلويات والسفليات (١) ، وما بينهما ، من الممتزجات

---

(١) ينبغى أن يفهم أن مسألة « العلويات والسفليات » مسألة نسبية ، خصوصاً بعد رحلات الفضاء التى قام بها الإنسان المعاصر إلى القمر وغيره ... وقد علمته

« و » كيف لا . . . هو . . .

« الله » المستقل بالألوهية والربوبية

« على كل شيء » مما لمع عليه برق وجوده

« شهيد » حاضر ، غير مغيب عنه . . . وبالجملة . . .

— ١٠ —

إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ .

« إن » المسرفين المفسدين

« الذين فتنوا » وأحرقوا

« المؤمنين والمؤمنات » ظلماً وعدواناً ، كراهة هدايتهم وإيمانهم

« ثم » بعد ما فعلوا من الإفراط والإسراف

« لم يتوبوا » إلى الله ، ولم يرجعوا نحوه سبحانه ، عن ظلمهم ، ولم يستغفروا نحوه نادمين منه

« فلهم عذاب جهنم » الطرد والحرمان عن حضور الحنان المنان

أن مسألة التحتية والفوقية مسألة نسبية . . . فما هو فوق إنما كان كذلك بالنسبة اليك أنت . . . لا بالنسبة إلى غيرك . . .

وما هو تحت الآن . . . قد يكون بعد انطلاقك بسفينة الفضاء إلى كوكب آخر « فوق » عندما تصل إلى ذلك الكوكب !!!

« ولهم » ولحق بهم بسبب كفرهم بالله ، وإنكارهم توحيده

« عذاب الحريق » بدل ما فعلوا بالمؤمنين ، من احراقهم في الأخاديد .

ثم عقب سبحانه وعيدهم بوعد المؤمنين فقال :

— ١١ —

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ .

« إن الذين آمنوا » بوحدة الحق

« و » أكدوا إيمانهم حيث

« عملوا الصالحات » المقرونة بالإخلاص فى القصد والنيات

« لهم » عند ربهم ، جزاء لإيمانهم وأعمالهم ، تفضلا عليهم

« جنات » متنزهات العلم ، والعين ، والحق

« تجرى من تحتها الأنهار » أى : جداول المعارف والحقائق » المنتشئة من بحر الحقيقة . . . وبالجملة . . .

« ذلك الفوز » العظيم الشأن ، البعيد رفعة مكانته عن أفهام الأنام» هو الفوز . . .

« الـكبير » والفضل العظيم ، الذى لا فوز أعظم منه وأرفع .

ثم أشار سبحانه إلى تهديد أصحاب الضلال المنحرفين عن جادة الاعتدال ، مخاطباً لحبيبه صلى الله عليه وسلم فقال :

— ١٢ —

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ .

« إن بطش ربك » يا أكمل الرسل . . . وأخذه بالعنف لعصاة عباده . . . المائلين عن سبيل سداده ، وجادة رشاده

« لشديد » بحيث لا يقاس على شدة بطشه ، ومضاعف عذابه وانتقامه

وكيف يطاق بطشه ، ويقاوم أخذه و . . .

— ١٣ —

إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ .

« إنه » سبحانه

« هو » القادر الغالب الذى

« يبدئ » ويظهر عموم المظاهر ، والموجودات ، من كتم العدم ، بالقدرة الـكاملة الغالبة ، ثم يخفيها ويعدمها كلها أيضا ، بكمال قدرته

« ويعيد » ويخرجها فى فضاء الظهور ، مرة بعد أخرى ، بمقتضى قدرته واختياره

فكيف يقاوم ، ويقاس شىء مع قدرته سبحانه هذه ؟ !

وكيف يطيق أحد أن يقوم بمعارضته تعالى شأنه ، فى حكمه ، وينازع سلطانه ؟ !

يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، لا يسأل عن فعله ، إنه حكيم مجيد.

— ١٤ —

وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ .

« وهو » سبحانه أيضا بمقتضى سعة جوده ورحمته

« الغفور » الستار ، المحّاء لذنوب من تاب ، ورجع نحوه ، مخلصاً نادماً ، وإن كبرت وكثرت . . . فإن رحمته أوسع منها وأشمل

« الودود » المحب لإخلاص المذنبين ، وتوبة المستغفرين ، وفراغة الخائفين المخبتين المستحيين من الله ، النادمين على ما صدر عنهم وقت الغفلة والغرور

وكيف لا يود ، ولا يغفر سبحانه ، مع أنه . . .

— ١٥ —

ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ .

«ذو العرش» إذ هو المستوى على عروش عموم ما ظهر وبطن . . . بالاستيلاء التام ، والاستقلال الكامل

« المجيد » العظيم فى ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله . . . إذ لا وجود سواه ، ولا كون لغيره ، فظهر أنه . . .

— ١٦ —

فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ .

« فعال » بالاستقلال ، والاختيار

« لما يريد » إذ جميع الأفعال الجارية فى ملكه وملكوته . . . صادر عنه باختياره ... بلا شركة فيها ومظاهرة ... إذ لا يجرى فى ملكه إلا ما يشاء . . . بمقتضى علمه الشامل . . . وحكمه الكامل . . . سواء كان إنعاماً أو انتقاماً(١)

ثم أشار سبحانه إلى تسلية حبيبه صلى الله عليه وسلم . . . وحثه على الصبر على أذيات قومه وتكذيبهم إياه مكابرة فقال :

---

(١) تأمل العطاء الربانى لذلك الرجل ؟ !

إنه يجوس خلال الحقائق ، فى تمكن وتمكين ، وعلم وتعليم ... وفوق كل ذى علم عليم !!!

— ١٧ —

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ .

«هل أتاك» أى : قد أتاك ووصل إليك ، وثبت ذلك عندك . . . يا أكمل الرسل بالتواتر

« حديث الجنود » أى : أخبار الأمم السالفة ، وقصة تكذيبهم للرسل السابقة ، والكتب السالفة ، وانتقامنا منهم ، بعد ما بلغت أذياتهم للرسل غايتها . . . سيما حديث . . .

— ١٨ —

فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ .

« فرعون » الطاغى الباغى وملائه . . . كيف كذبوا أخاك موسى الكليم عليه السلام . . . وكيف قصدوا مقته وإهلاكه مراراً . . . وكيف انتقمنا منهم واستأصلناهم

« وثمود » المردود . . . كيف كذبوا أخاك صالحا عليه السلام . . . وكيف انتقمنا منهم . . .

تذكر يا أكمل الرسل قصصهم مع رسلهم ، وما جرى عليهم من لدنا

وبالجملة . . . فاصبر يا أكمل الرسل على ما أصابك من قومك . . .

فإن ذلك من عزم الأمور ... فسننتقم منهم أيضاً مثل ما انتقمنا من الأمم السالفة الهالكة

— ١٩ —

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ .

« بل الذين كفروا » بك وبكتابك

« فى تكذيب » عظيم من تكذيب الماضين ... لأنهم قد سمعوا قصصهم وما جرى عليهم بشؤم تكذيبهم ... فلم يعتبروا ولم ينزجروا ... فسيلحقهم أشد مما لحقهم من العذاب عاجلا وآجلا

— ٢٠ —

وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ .

« و » بالجملة

« الله » المطلع بعموم ما جرى فى ضمائرهم من الكفر والشقاق

« من ورائهم » أى : وراء هوياتهم الباطلة ، وتعيناتهم العاطلة

« محيط » بهم بالإحاطة الذاتية ... بحيث لا يفوته سبحانه شيء من جرائمهم وآثامهم ... فسيجازيهم عليها حسب إحاطته وخبرته ... وهم ينكرون إحاطته ، ولذلك ينكرون كتابه الجامع لجميع الكمالات الدنيوية والأخروية ... الغيبية والشهادية ... وينسبونه إلى الشعر

والكهانة وأنواع التزويرات والمفتريات الباطلة . . عناداً ومكابرة مع أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

— ٢١ —

بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ .

« بل هو قرآن » فرقان بين الحق والباطل ، والهداية والضلال « مجيد » عظيم عنــــد الله ... مبين لأحكام الدين المستبين . . مثبت مركوز . . .

— ٢٢ —

فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ .

ألا وهو حضرة العلم المحيط الإلهى . . . ولوح قضائه المصون عن مطلق التحريف والتغيير .

عليك أيها الموحد المحمدى ، المنكشف بحقية القرآن ... هداك الله إلى حقيقته . . . أن تعتقد أن مطلق الحوادث الجارية فى عالم الكون والفساد ... إنما هو مثبت فى لوح القضاء المصون ... عن سمة التبديل والتغيير

إذ ما يبدل القول والحكم لدى القادر الحكيم العليم

والتصرفات الواقعة فى عالم الملك والملكوت . . . إنما هى مرقومة

مرسومة فيه على وجهها . . . بحيث لا يشذ شيء منها عنه

والقرآن المجيد منتخب منه[1]

وحاوٍ عموم ما ثبت فيه إجمالا

ومن أدركته العناية السرمدية ، وجذبته الجذبة الأحـدية . . .

يصل من رموز القرآن إلى كنوز الأسرار والمعارف

التي فصلها الحق فى لوح قضائه . . . وحضرة علمه

---

(١) أشهد أن لا إله إلا الله ... وأن ذلك الرجل قد أوتى كشفاً من لدنه سبحانه عظيما ...

إنه هنا يكشف سراً عجيباً جدا جدا جدا ! ! !

أن جميع ما كان ويكون مثبت فى لوح القضاء المصون عن سمة التبديل ...

وأن القرآن المجيد « منتخب منه » ...

أى : القرآن ... هو منتخب من المرقوم المرسوم فى اللوح المحفوظ ! ! !

منتخب يناسب الـكائن المسمى بالإنسان ... ويصلح شأنه ... ويرقى به إلى الـكمالات ...

وتلك نظرية خطيرة جدا جدا ...

سجلها الرجل الخالد ... فى بساطة عجيبة ... مع أنها مفتاح لقضايا خطيرة جداً ...

ولو لم يكن فى هذا الـكتاب الذى بين أيدينا غير هذه الومضة الغالية لـكانت حسبنا دليلا على المستوى الرفيع الذى عليه الرجل ! ! !

لـكن الواصل إلى هذه المرتبة العلية ، أقل من القليل [1]

فـكن راجياً من الله الجميل ، ولا تيأس من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله ، إلا القوم الخاسرون .

سورة الطارق

مكيّة — وآياتها ١٧ — نزلت بعد البلد

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » المراقب لأحوال عباده ، كيلا يوسوس فى صدورهم الشيطان

« الرحمن » عليهم ، يحفظهم عن موجبات الندامة والخذلان

« الرحيم » لهم ، يهديهم إلى طريق الجنان

---

(١) نلتقط من هذه الإشارة ... أن الرجل كان من هؤلاء الذين وصـلوا إلى تلك المرتبة العلية ... الذين وصلوا من رموز القرآن ... إلى كنوز الأسرار والمعارف . . . التى فصلها الحق فى لوح قضائه ... وحضرة علمه ! !

وهذا هو النور ... الذى تتشعشع له قلوب أهل النور ! ! !

— ١ —

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ .

« والسماء » أى : بحق سماء الأسماء اللاهوتية المصونة عن مطلق التغيير والزوال ، المتعالية عن مدارك الوهم ومشاعر الخيال

« و » بحق

« الطارق » الذي يتخطف منها على آحاد الرجال ، بعد ما هاجروا عن بقعة الناسوت ، متشمرين بالعزيمة الخالصة نحو فضاء اللاهوت بمقتضى الجذب الجبلى ، والميل الفطرى المعنوى

ثم أبهمه سبحانه على حبيبه تعظيما وتفخيما فقال :

— ٢ —

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ .

« وما أدراك » أيها المظهر الكامل اللائق لفيضان الطوارق اللاهوتية

« ما الطارق » حين كنت مقيداً فى عالم الناسوت حسب هويتك وبعد ما أطلقك الحق عن قيود عالم الناسوت ، عرفت أن الطارق الذى يطرقك من عالم اللاهوت وفضاء الجبروت إنما هو . . .

— ٣ —

النَّجْمُ الثَّاقِبُ .

أى : الجذبة الأحدية اللامعة المتشعشعة ، الناشئة البارقة من عالم العماء ، الذى هو محل كمال الجلاء والانجلاء الذاتى ، والجذوة المتشعشعة المشتعلة الساطعة ، من نار العشق والمحبة المفرطة الإلهية ، إلى شجرة ناسوتك القابلة ذلك ، بعد ما أمرك بالتجرد عن كسوة ناسوتك ... أنا الله لا إله إلا أنا ... فاخلع نعليك ... واطرح لوازم نشأتك ... بعد ما سمعت يا أكمل الرسل ... فاسترح فى مقعد صدقك عند ربك ... إنك بالوادى المقدس ... عن رذائل لواحق نشأة الناسوت ... طوى ... أى : قد طويت دونك العوائق البشرية مطلقا ... وأنا اخترتك لمظهرية المعارف والحقائق المستلزمة لرتبة الخلافة والنيابة ... فاستمع لما يوحى إليك من الآيات البينات ... لمراسم التوحيد واليقين ...

وبالجملة ، وبحق هذين القسمين العظيمين ...

— ٤ —

إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ .

« إن كل نفس » أى : ما كل نفس من النفوس الطيبة

والخبيثة ... الكائنة فى عالم الكون والفساد

« لمّا » أى : إلا

« عليها حافظ » من قبل الحق ... يحفظ لها أقوالها وأفعالها وحالاتها ... حتى يدفعها ويسلمها إلى المقادير التى حصلت عنها ... وصدرت على طبقها ... حتى جوزيت على مقتضاها

وبعد ما سمع الإنسان ما سمع ، من الحكمة العلية الإلهية

— ٥ —

فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ .

« فلينظر الإنسان » المركب من الجهل والنسيان ، وليتأمل فى منشئه

« مم خلق » يعنى : فليراجع وجدانه ، ولينظر مبدأه ومنشأه ، حتى يظهر له من أى شىء قدر وجوده ، فيعرف قدره ، ولم يتعد طوره ، مع أنه إنما ...

— ٦ —

خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ .

« خلق » وقدر

« من ماء » مهين مسترذل

« دافق » مدفوق ، مصبوب فى الرحم ، على وجه التلذذ والاضطراب من كلا الجانبين ، مع أنه . . .

— ٧ —

يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ .

« يخرج » ذلك الماء المهين

« من بين الصلب والترائب » أى : من ظهر الرجل ، وصدر المرأة

وبعد ما تأمل الإنسان فى مبدئه ، وعرف أصل نشأته ، تفطن منه أن وفقه الحق إلى قدرة الصانع الحكيم العليم ، الذى خلقه من هاتين الفضلتين الخبيثتين ، ورباه إلى أن صار بشراً سوياً ، قابلا لفيضان أنواع المعارف والحقائق . . . لائقاً للخلافة الإلهية . . . مهبطاً للوحى والإلهام من لدنه سبحانه

وتفطن أيضاً ، بل جزم وتيقن أن من قدر خلقه وإيجاده ابتداء . . .

— ٨ —

إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ .

« إنه على رجعه » وإعادته ، وبعثه من القبور

« لقادر » البتة ، فكيف ينكر قدرته سبحانه على البعث والحشر، مع أن الإعادة أهون عنده من الإبداء ؟

تأملوا أيها المجبولون على فطرة العبرة والتكليف . . .

— ٩ —

يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ .

وتكشف السرائر ، ويظهر ما خفى من الضمائر ، من الإنكار والإصرار ، وفواسد النيات والأعمال

— ١٠ —

فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ .

« فما له » أى : للانسان حينئذ

« من قوة » يدفع بها عن نفسه ما يترتب على أعماله وأحواله من العذاب والعقاب على وجه الجزاء

« ولا ناصر » يدفعه وينصره ، إذ كل نفس يومئذ رهينة بما كسبت ، مشغولة بجزاء ما جرت عليه ، خيراً كان أو شرا

ثم أقسم سبحانه بما أقسم لإثبات حقية القرآن وفضله وكونه بريئاً عن قدح القادحين وطعن الطاعنين فقال :

— ١١ —

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ .

« والسماء » أى : وحق سماء الأسماء اللاهوتية الإلهية ، التى هى فى أعلى درجات الارتفاع

« ذات الرجع » والعود ، إذ تدور على هيا كل عالم الناسوت طرفة ، وترجع فى الحال إلى عالمها دفعة ، كالبرق الخاطف ... ولا تدوم ولا تستقر آثارها إلا لأرباب العناية من البدلاء ... الذين قد بدلت لوازم ناسوتهم بالمرة بخواص اللاهوت... وارتفعت البشرية عنهم مطلقا[1]

— ١٢ —

وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ .

« والأرض » أى : أرض الطبيعة والهيولى القابلة لانعكاس ما لمع عليه سماء الأسماء

« ذات الصدع » أى : التأثر ، والتشقق بقبول أثر مؤثرات عالم اللاهوت

يعنى : وبحق هذين القسمين العظيمين ...

---

(١) الله أكبر ! . . هذا شيء لا يفهمه إلا أهله !

— ١٣ —

إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ

« إنه » أى : القرآن

« لقول فصل » فاصل ، فارق بين الحق والباطل ، والهداية والضلالة

— ١٤ —

وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ .

كما زعمه المسرفون المفرطون فى شأنه ... بل هو جد كله ... صدر عن حكمة متقنة بالغة إلهية ... لمصلحة الهداية والإرشاد لعموم العباد ... وبالجملة ...

— ١٥ —

إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا .

« إنهم » يعنى : طغاة مكة ، خذلهم الله

« يكيدون كيداً » ويمكرون فى إبطال القرآن ، وإطفاء نوره الفائض على عموم الأعيان ، فيرمونه بأنواع القدح والطعن ، مراء ومكابرة ، وينسبونه إلى ما لا يليق بشأنه عناداً

— ١٦ —

وَأَكِيدُ كَيْدًا .

« وأكيد » أنا أيضاً فى أخذهم وانتقامهم ، بعد ما استحقوا الأخذ والانتقام

« كيداً » على سبيل الاستدراج والاستمهال ، بحيث لا يحتسبون ، بل يحملون إمهالنا إياهم على الإهمال ، لذلك يغترون ويجترؤن فى قدحه وطعنه

وبعد ما سمعت يا أكمل الرسل . . .

— ١٧ —

فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا .

« فمهل الكافرين » أنت أيضا ، ولا تستعجل بانتقامهم ، ولا تشتغل بالدعاء عليهم سريعاً ، إذ إمهالنا ابتلاء منا لهم ، وفتنة جالبة لمصيبة عظيمة

ومتى تحققت يا أكمل الرسل ما قلنا لك . . .

« أمهلهم » وأعرض عن المراء والمجادلة معهم ، وانتظر لمقتهم ، وترقب لهلاكهم

« رويداً » إمهالا يسيراً ، فى زمان قليل

وسيظهر عن قريب دينك على عموم الأديان ، وهم يقهرون ويستأصلون .

سورة الأعلى

مكية — وآياتها ١٩ — نزلت بعد التكوير

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ .

« بسم الله » المتعالى ذاته عن أحلام الأنام ، وأفهام الخواص والعوام

« الرحمن » لعموم عباده ، يدعوهم إلى دار السلام

« الرحيم » لخواصهم ، يهديهم إلى أرفع المكانة ، وأعلى المقام

— ١ —

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى .

« سبح » لله . . . يا من غرق فى تيار البحر الزخار للوجود . . . وتلاشى فى لمعات شمس الشهود

« اسم ربك الأعلى » وإن لم يبق لك التوسل بمطلق الأسماء . . . بعد ما فنيت فى المسمى . . .

ثم تذكر بمقتضى حصة عبوديتك ، نعمه الواصلة إليك ، بعد أن فزت بحلل البقاء ، استحضاراً وتذكيراً لما جرى عليك من الشؤن والأطوار فى نشأة ناسوتك . . . إذ هو سبحانه القادر المقتدر . . .

— ٢ —

الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى .

« الذى خلق » وأوجد ، عموم ما خلق وأظهر

« فسوى » خلق الكل ، بحوله وقوته واختياره ، مع ما يتعلق به ويترتب عليه ، فى معايشه ومعاده

— ٣ —

وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى .

« و » هو الحكيم العليم القدير

« الذى قدر » المقادير ، ودبر التدابير ، وأحسن التصاوير . . . وأودع فيها ما أودع من الاستعدادات ، والقابليات ، الجالبة لأنواع الكمالات . . . وبعد ما هيأها وعدلها . . .

« فهدى » أى : هدى الكل إلى ما جبلوا لأجله . . . بوضع التكاليف المشتملة على الأوامر والنواهى . . . والأحكام الواجبة والمندوبة . . . والأخلاق المرضية والآداب السنية . . . ليتمرنوا على الأمور

المذكورة ... ويترسخوا فيها بالعزيمة الخالصة ، والجزم التام ... حتى يستعدوا لأن تفيض عليهم طلائع سلطان الوحدة الذاتية ، المنقذة لهم عن ورطة الناسوت ، الموصلة لهم إلى فضاء اللاهوت

— ٤ —

وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَى .

« و » هو سبحانه القادر المقتدر

« الذى أخرج » بكمال قدرته ، وأثبت وأظهر

« المرعى » الحاصل فى مرتع الدنيا بأجناسها وأصنافها ... تتميماً لتربية دواب الطبائع ، وحوامل الأركان القابلة لتأثيرات عالم الأسماء والصفات ، ليتقوموا بها ، ويستعدوا لفيضان المعارف والحقائق وأنواع الكمالات اللائقة ... التى هم جبلوا لأجلها

وبعد ما حصل من الكمالات المنتظرة فى نشأة الناسوت

— ٥ —

فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى .

« فجعله » سبحانه ... مرعى العالم ، مع كمال نضارتها وبهائها .. فى نظر شهود أولى الألباب ، الناظرين بنور الله ... من وراء سدول الأسماء والصفات

« غثاء » يابساً . . . بل سراباً باطلا عاطلا . . .

وبعد ما تحققوا بمقر التوحيد ، ورفعوا وسائل الأوصاف والأسماء من البين ، فصار الكل حينئذ هباء

« أحوى » بل عدما لا يبقى . . أسود موحشاً بعد ما كان أخضر مفرحا

ثم التفت سبحانه نحو حبيبه صلى الله عليه وسلم على سبيل التفضل والامتنان

فقال على طريق الوصاية والتذكير :

— ٦ —

سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى .

« سنقرئك » ونجعلك قارئا . . . يا أكمل الرسل . . . مراقبا على وجوه الوحي والإلهام ، النازل من لدنا عليك . . . مع أنك أمي . . . لم يعهد من مثلك أمثالها !

« فلا تنسى » يعني : عليك أن تضبط هذه النعمة ، وتحفظها على وجهها ، وتواظب على أداء شكرها ، بلا فوت شيء منها ، بزيادة عليها ، أو تحريف فيها

— ٧ —

إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى .

« إلا ما شاء الله » العليم الحكيم . . . نسيانه منك . . . بأن نسخ تلاوته أو حكمه أو كلاهما . . . على مقتضى حكمته المتقنة ، ومصلحة عباده المستحكمة

وبعد ما سمعت يا أكمل الرسل ما سمعت . . . فدم عليها ، ولا تغفل عنها سراً وجهراً ، حالا ومقالا

« إنه » سبحانه

« يعلم » منك

« الجهر وما يخفى » يعنى : ظاهرك وباطنك

أى : يعلم سبحانه منك جميع ما امتثلت بظاهرك من مقتضيات الوحى والإلهام . . . وبباطنك من الإخلاص فى النيات والحالات ، والخلوص فى العزائم والمقامات

— ٨ —

وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى .

« و » اعلم يا أكمل الرسل . . . أنَّا بمقتضى عظيم جودنا معك ، مراقبون لك فى عموم شئونك وأطوارك

« نيسرك » ونوفقك على التدين والتحفظ بمقتضيات الوحى

« لليسرى » أى: الطريقة ، والشريعة ، السهلة ، السمحة ، البيضاء

وبعد ما يسرنا لك ، وسهلنا عليك طريق الهداية والإرشاد . . .

— ٩ —

فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ .

« فذكر » بالقرآن ، وبين الأحكام الموردة فيه للناس

« إن نفعت الذكرى » أى : سواء نفعت عظتك وتذكيرك إياهم ، أو لم تنفع . . . إذ ما عليك إلا البلاغ ، وعلينا الحساب . . . ولا تيأس يا أكمل الرسل من مبالغتهم فى الإعراض أو الانصراف عنك وعن تذكيرك ، واعلم أنه . . .

— ١٠ —

سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ .

« سيذكر » ويتعظ بتذكيرك

«من يخشى» من بطش الله ، ومن كمال قدرته على وجوه الانتقام، سيما بعد التأمل فى معانى القرآن مراراً ، والتدبر فى فحاويه تكراراً . . . قد تنبه على حقيته ، فتذكر به وامتثل بما فيه

— ١١ —

وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى .

« ويتجنبها » أى : يعرض عنها وعن سماعها . . . يعنى : سماع الذكرى والعظة ، التى هى القرآن

« الأشقى » أى الـكافر الذى جبل على فطرة الشقاوة ، وجبلة الجهل والغباوة

— ١٢ —

الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الـكُبْرَى .

« الذى يصلى » ويدخل فى النشأة الأخرى

« النار الـكبرى » التى هى اضعاف نار الدنيـا فى الحرارة والحروقة . . . لذلك قال : كبرى . . . أو : فى الدرك الأسفل منهـا وهو أكبرها

— ١٣ —

ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى .

« ثم » لمـا دخل فى نار القطيعة والحرمان بأنواع الخيبة والخذلان

« لا يموت فيها » حتى يستريح ويخاص

« ولا يحيى » حياة نافعة طيبة كسكان بقعة الإمكان ، الداخلين

فى نيران الشهوات ودركات الأمانى والآمال ، بحيث لا يموتون حتى يستريحون ، ولا يحيون بلا منية الأمنية ، وغل الأمل ، وسلسلة الحرص والطمع

وبالجملة ... هم معذبون فى عموم الأوقات والأحوال

لا نجاة لهم فيها ما داموا فى قيد الحياة

وبعد ما ماتوا بأنواع الحسرات ، سيصلون فى أسفل الدركات ، وأصعب العقبات

ثم قال سبحانه على سبيل التنبيه :

— ١٤ —

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى .

« قد أفلح » وفاز بالدرجة القصوى والمرتبة العليا

« من تزكى[1] » وتطهر عن أدناس الطبائع والدار الهيولى ... من الميل الى الدنيا وما فيها من اللذات الفانية ، والشهوات الغير الباقية ... وتوجه نحو المولى بالعزيمة الخالصة .

---

(١) أجل تفسير لقوله سبحانه « تزكى » هو : ترقى ... بلغة اليوم ... أى : قد علا فى درجات القرب منا ...

— ١٥ —

وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى .

« وذكر » فى أوائل الطلب ، ومبادى الإرادة

« اسم ربه » أى : جنس الأسماء الإلهية . . . متفطنا بمعناها . . . يقظانا بفحواها . . . فرحانا بمضمونها . . . متشوقاً إلى لقياه سبحانه

« فصلى » ومال نحوه سبحانه . . . فى الأوقات المحفوظة المأمور بالأداء فيها . . . محرما على نفسه عموم مبتغاه من دنياه

— ١٦ —

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا .

« بل » هؤلاء الحمقى الهلكى ، التائهون فى تيه الغفلة والضلال ، المغلولون بأغلال الأمانى والآمال

« تؤثرون » وتختارون

« الحياة الدنيا » المستعارة الفانية ، على الحياة الحقيقية الأخروية الباقية

وكذلك تجمعون أسباب الفساد والإفساد ، ولا تتزودون ليوم المعاد

— ١٧ —

وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى .

« والآخرة » أى : والحال أن الآخرة ، وما وعد فيها من اللذات الروحانية الباقية

« خير » مما فى الدنيا وأمانيها

« وأبقى » وأدوم ، بحيث لا انقطاع لها ، ولا نهاية للذاتها . . . وبالجملة . . .

— ١٨ —

إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى .

« إن هذا » الذى وعظك الحق به . . . يا أكمل الرسل . . . ووصاك بحفظه وبالامتثال به ، والاتصاف بمضمونه

« لفى الصحف الأولى » أى : مثبت فيها على وجهه . . . وتلك الصحف هى . . .

— ١٩ —

صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى .

« صحف » جدك . . . يا أكمل الرسل

« إبراهيم » الخليل ... الفائق فى الخلة والفلاح ... على عموم أرباب الصلاح والنجاح

« و » صحف أخيك

« موسى » الكليم ... الفائز من عند الله بالفوز العظيم ... ألا وهو مرتبة التكلم والتكليم مع الله العليم

سورة الغاشية

مكية – وآياتها ٢٦ – نزلت بعد الذاريات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

« بسم الله » القادر المقتدر على عموم مقدوراته حسب النشأتين

« الرحمن » على عموم عباده ، ينبههم نحو المرجع والمعاد

« الرحيم » لخواصهم ، يهديهم إلى سبيل الرشاد

– ١ –

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ .

« هل أتاك » أى : قد أتاك ، ووصل إليك ، وانكشف لك يا أكمل الرسل

« حديث الغاشية » أى : الداهية العظيمة ، التى تغشى الناس ، وتحيط بهم يوم القيامة بشدائدها ، حين وقفوا بين يدى الله للعرض والجزاء ، وهم حينئذ من شدة الهول والفزع حيارى سكارى ، تائهون هائمون مرعوبون ، عما يفعل بهم ، وكيف يحكم عليهم . . . وبعد ما أخذوا للحساب وحوسبوا . . .

— ٢ —

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ .

ذليلة ، شاخصة ، منـكوسة

— ٣ —

عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ .

«عاملة» يومئذ بأعمال لا تنفعها ، كالتوبة والتوجه ، وطلب العفو والمغفرة ، بعد مضى أوانها

« ناصبة » مبالغة فى تحمل التعب والمشقة ، رجاء أن يعفى عنها ، ويغفر لها ، مع أنها لا ينفعها حينئذ عملها ، وإن أتعب نفسها ، لانقضاء نشأة الاختبار ، المأمورة فيها الأعمال . . . بل . . .

— ٤ —

تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً .

« تصلى » بالطرح حينئذ

« ناراً حامية » فى نهاية الحر والحرقة ، تأكيداً وتشديداً لعذابها

— ٥ —

تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ .

« تسقى » عند الإشراف على الهلاك من غاية العطش

« من عين آنية » متناهية فى الحرارة والسخونة المفرطة

وكيف لا وقد أوقدت حولها نار جهنم ، منذ خلقت ؟

هذا شرابهم و . . .

— ٦ —

لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ .

أى : شبرق يابس ، أمر من الصبر ، وأبشع من جميع الأشياء البشيعة ، ومع نهاية بشاعته ومرارته وشدة حرارته

— ٧ —

لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ .

« لا يسمن » حتى يزيد فى قوتهم

« ولا يغنى » ولا يدفع

« من جوع » وبالجملة لا يفيدهم أصلا و . . .

— ٨ —

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ .

« وجوه » أخر

« يومئذ » على عكس ذلك إذ هى

« ناعمة » متنعمة مبتهجة مسرورة

— ٩ —

لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ .

« لسعيها » الذى قد تحملته من أنواع المتاعب والمشاق فى نشأة الدنيا

« راضية » سيما بعد ما رأت ما ترتب على سعيها من الجزاء

وكيف لا ترضى وهى متنعمة يومئذ بسبب ذلك السعى ؟

وبالجملة هى متمكنة يومئذ . . .

— ١٠ —

فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ .

متعالية أوصاف نزاهتها ونضارتها ، عن مدارك العقول ، ومشاعر الخواص ، مصفاة عن مطلق المكاره ، بحيث . . .

— ١١ —

لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً .

« لا تسمع فيها » كلمة

« لاغية » لا فائدة لها . . .

ولتتميم نزاهتها ونضارتها . . .

— ١٢ —

فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ .

« فيها عين » ماؤها فى غاية البياض والصفاء

« جارية » فى خلالها ، وكذلك أنهارها أبدا

ولتكميل ترفههم وتنعمهم . . .

— ١٣ —

فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ .

مرتفعة عن الأرض ، على قوائم طوال

— ١٤ —

وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ .

« وأكواب » أوان لا عروة لها

« موضوعة » بين أيديهم

— ١٥ —

وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ .

« ونمارق » وسائد فى غاية الصفاء والبهاء ، متلونة بألوان مطبوعة

« مصفوفة » مفروشة بعضها فى جنب بعض

— ١٦ —

وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ .

« وزرابى » بسط أخر ، فاخرة متلونة

« مبثوثة » مبسوطة ، مفروشة

وبالجملة ... لا تستبعدوا ولا تستغربوا عن قدرة الله أمثال هذا ...

— ١٧ —

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ .

« أ » ينكرون ، ويستبعدون ، أولئك البعداء المنكرون المفرطون قدرة الله القادر الحكيم ، على أمثال هذه المقدورات

« فلا ينظرون » بنظر التأمل والاعتبار

« إلى الإبل كيف خلقت » على الهيكل الغريب ، والشكل العجيب ، تحمل كثيراً ، وتأكل قليلا ، وتصير منقادة لكل أحد ،

حتى النسوان والصبيان ، مع عظم جسمها ، وكمال قوتها وقدرتهـا ، وتتحمل على الجوع والعطش مدة ، وتتأثر من المودة والغرام وتسكر منها إلى حيث تنقطع عن الأكل والشرب زماناً ممتداً ... وأيضاً قد تتأثر من الأصوات الحسنة والحدى ... وتصير من كمال التأثر إلى حيث تهلك نفسها من سرعة الجرى ، ويجرى الدمع من عينيها ، عشقاً وغراماً ، وشوقاً أواما

وبالجملة ... قد ظهر منها حين حدى عليها ، وصوت لها بأصوات حسنة ونغمات مستحسنة ، عجائب كثيرة ، يتفطن بها أهل العبر والاستبصار[1]

— ١٨ —

وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ .

بلا عمد ، وأسانيد ، منثورة عليها الكواكب التى لا ندرك حقائقها[2] وأوصافها وأشكالها وطبائعها ... وما لنا منها إلا الحيرة والنظرة على وجه العبرة

(١) تأمل المذهب الذى ذهب إليه الرجل فى إظهار عجائب الإبل ! !
انه يكشف عن زوايا عاطفية عالية من طباع الإبل ... حين تسمع الغناء الجميل الذى يشجيها ، ويحرك عاطفتها !!!

(٢) وهذا ما يحاوله إنسان اليوم برحلات الفضاء المتتابعة ... تارة إلى القمر .. وتارة إلى الزهرة ... وغيرها من الكواكب .. للوصول إلى حقيقة هذه الكواكب ، وهل هناك على وجهها أحياء ، وهل يمكن للانسان أن يعيش عليها ؟!!

— ١٩ —

وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ .

« و » كذا

« إلى الجبال » الرواسى

« كيف نصبت » على وجه الأرض ، مشتملة على معادن ومياه وآجام

— ٢٠ —

وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ .

« وإلى الأرض » التى هى مقر أنواع الحيوانات ، وأصناف المعادن ، وأنواع النباتات

« كيف سطحت » مهدت وبسطت

ومع وضوح صدور أمثال هـــذه المقدورات العظيمة الشأن ، من الحـكيم الحنان المنان ، ذى الطول والإحسان ، ينـكرون قدرته سبحانه على المقدورات الأخر الأخروية !

فالعجب كل العجب ممن شهد وشاهد آثار القدرة الغالبة الإلهية ، فى الأنفس والآفاق ، فتردد فى المقدورات الأخروية ، وأنـكر عليها ظلماً وعدواناً !

وما ذلك الإنكار والإصرار ، إلا من ظلمات الإلف والعادات المترتبة على شياطين الأوهام والخيالات الباطلة ، الطارئة على أهل الغفلة والضلالة ، المسجونين فى سجن الإمكان ، بأنواع الخيبة والخسران

وإلا فظهور آثار القدرة الغالبة الإلهية أجل وأعلى من أن تتردد فيه الآراء ، وتنكر عليه الأهواء

وبالجملة ... من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور

وبعد ما سمعت ما سمعت من مقتضيات القدرة الغالبة الإلهية ...

— ٢١ —

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ .

« فذكر » يا أكمل الرسل ، بالقرآن حسب ما أمرت به وألهمت « إنما أنت مذكر » مبلغ ، فلا بأس عليك إن لم ينظروا ولم يعتبروا ... بل ما عليك إلا البلاغ ... فلا تقصر فى تبليغك إذ ...

— ٢٢ —

لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ .

مسلط ، ملزم ، مكره للقبول البتة

— ٢٣ —

إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ .

« إلا من تولى » يعنى : لـكن من أعرض ، وبغى بعد تذكيرك وتبليغك

« وكفر » وطغى بما سمع منك ،.واستهزأ بك وكذبك

— ٢٤ —

فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ .

« فيعذبه الله » العزيز الحـكيم المقتدر على وجوه الإنتقام

« العذاب الأكبر » الذى لا عذاب أعظم منه وأشد

ألا وهو حرمانهم عن رتبة الخلافة ، وخلودهم فى نار القطيعة ، بأنواع الخذلان والخسران

وبالجملة ... بلغ يا أكمل الرسل جميع ما أنزل إليك على كافة البرية ، ولا تبال بإعراضهم وتـكذيبهم

— ٢٥ —

إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ .

« إن إلينا » لا إلى غيرنا من الوسائل ، والأسباب العادية

« إيابهم » ورجوعهم ... كما أن منا مبدأهم وصدورهم

— ٢٦ —

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ .

« ثم » بعد ما رجعوا إلينا صاغرين

« إن علينا حسابهم » على أعمالهم التى صدرت عنهم فى نشأة الاختبار . . . جزيناهم أحسن الجزاء إن كانوا من أصحاب اليمين . . . وعذبناهم بأنواع العذاب والنكال إن كانوا من أصحاب الشمال .

سورة الفجر

مكية — وآياتها ٣٠ — نزلت بعد الليل

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » المدبر لأمور عباده ، ليخرجهم من ظلمات الطبيعة إلى نور الحقيقة

« الرحمن » عليهم بوضع التكاليف الشاقة القالعة لعرق الإلف والعادة ، الموروثة لهم من مقتضيات عالم الناسوت

« الرحيم » لهم ، يميتهم بالموت الإرادى ، عن لوازم بشريتهم الزائلة الأركانية ، ولواحق هوياتهم الباطلة الإمكانية

— ١ —

وَالْفَجْرِ .

أى : بحق انفلاق صبح السعادة الأزلية ، المتنفس بالأنفاس الرحمانية ، المتلألئ من سماء العماء ، وأفق العالم الأعلى اللاهوتى

— ٢ —

وَلَيَالٍ عَشْرٍ .

أى : بحق ليالى الحواس العشر المقبلة إلى الإدبار والانمحاء ، عند انجلاء الفجر اللاهوتى ، وضياء صبح العماء الذاتى ، وطلوع الفجر الجبروتى

— ٣ —

وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ .

« والشفع » أى : بحق رفع شفع الملوين (١) ، وتجدد الجديدين ، وارتفاعهما عن العين ، وانمحائهما من البين

« والوتر » أى : بحق الوجود الوحدانى المطلق المنزه عن التعدد والتكثر مطلقاً فى ذاته

---

(١) الليل والنهار

— ٤ —

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ .

« والليل » أى : بحق ليل العدم المظلم فى ذاته ، المرآت للوجود المطلق ، الذى يترا آى منه عموم كمالاته

« إذا يسر » وذهبت ظلمته بامتداد اظلال الوجود وشروق شمس الذات عليه

— ٥ —

هَلۡ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِى حِجۡرٍ .

« هل » يحتاج

« فى ذلك » أى : فى كل واحد واحد من المقسمات العظيمة الشأن

« قسم » ويمين يؤكدها

« لذى حجر » وعقل فطرى خالص عن شوب الوهم والخيال ، خال عن مزاحمة مطلق الإلف والعادات ، الحاصلة من سلاسل الرسوم ، وأغلال التقليدات ، الناشئة من ظلمات الطبيعة ؟

وبالجملة . . . قد أقسم سبحانه بهذه المقسمات الرفيعة القدر والمكان ، انه سبحانه يعذب أصحاب الزيغ والضلال ، المقيدين بسلاسل الحرص ، وأغلال الآمال فى الدنيا بشهوات الإمكان ، وفى الآخرة بدركات النيران

يعني كفار مكة خذلهم الله

— ٦ —

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ .

« أ » استبعدت أنت أيضاً يا أكمل الرسل ، تعذيبنا إياهم ، وانتقامنا منهم و . . .

« لم تر » أى : لم تعلم ، ولم تجزم بالتواتر ، الموجب للجزم واليقين

« كيف فعل ربك بعاد » يعنى : كيف أهلك عاداً ؟

— ٧ —

إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ .

« إرم » إسم لبنائهم وبلدتهم

« ذات العماد » أى : الأساطين الطوال ، شديدة الأساس ، رفيعة السمك ، عريضة الجدار

— ٨ —

الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ .

« التى لم يخلق » ولم يوجد

« مثلها » أى : مثل بنائهم وبلدتهم

« فى البلاد » فى الاحكام والرفعة ، وأنواع النزاهة واللطافة

وهم قد كانوا أكثر الناس أعماراً وأولاداً وأموالا وأتمهم جاهاً وثروة ، باضعاف هؤلاء المسرفين المفسدين فأهلكهم سبحانه ، واستأصلهم بالمرة ، بعد ما أفرطوا فى أطوارهم لخارجة عن حد الاعتدال

— ٩ —

وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ .

« وثمود » يعنى : كيف فعل ربك مع ثمود ... ما فعل من الهلاك والإهلاك ، مع أنهم هم البطرون المفرطون

« الذين جابوا » قطعوا ونقبوا

« الصخر » أى : صخور الجبال

« بالواد » أى : بواد القرى ، واتخذوا فيها بلاداً حصينة منيعة ، من شدة قدرتهم وقوتهم ، ومع ذلك قد أهلكهم سبحانه

— ١٠ —

وَفِرْعَوْنَ ذِى الْأَوْتَادِ .

« وفرعون » الطاغى الباغى

« ذى الأوتاد » أى : ذى العسكر الكثير ، المشتمل على المضارب

والخيام ، المشتملة على الأوتاد والأطناب[1]

وهؤلاء المذكورون هم ...

— ١١ —

الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ .

وقد استكبروا على ضعفاء العباد ، اتكالا ، واتكاء ، على ما عندهم من المال والجاه والثروة والسيادة

— ١٢ —

فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ .

والإفساد

— ١٣ —

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ

أى : نوعاً من العذاب

كأنه يصب عليهم ويمطر كالماء من السحاب

وهو كناية عن ترادف موجات الهلاك وتتابعها

وبالجملة قد أهلكهم الله جميعاً بأشد العذاب وأفظعه .

---

(١) يعنى : ذى الجنود ... ذى الجيش الكثير العدد والأسلحة ... المنتشرة معسكراته فى كل مكان ...

ثم قال سبحانه ، مخاطباً لحبيبه صلى الله عليه وسلم ، منبهاً له على كمال قدرته على الانتقام من عصاة عباده

— ١٤ —

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ .

« إن ربك » الذى رباك يا أكمل الرسل ، على كمال المعرفة واليقين

« لبالمرصاد » أى : مراقب محافظ لطرق عباده ، يرقبهم سبحانه كيف يسلكون نحوه ، هل هم فى سبيل الضلال والفساد ، أو فى طريق الهداية والرشاد ؟

مع أن الكل مجبولون على فطرة التوحيد ، لكن الحكمة الإلهية تقتضى الابتلاء والاختبار

— ١٥ —

فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ .

« فأما الإنسان » المذبذب بين الإحسان والكفران

« إذا ما ابتلاه » اختبره وجربه

« ربه » بالغنى واليسر

« فأكرمه » بالجاه والثروة

« ونعمه » بالأموال والأولاد

« فيقول » شكراً لما وصل إليه من النعم ومقتضيات الكرم

« ربى أكرمن » وتفضل علىّ بما أعطانى من الخير والحسنى

– ١٦ –

وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهَانَنِ .

« وأما إذا ما ابتلاه » ربه بالفقر والعسر

« فقدر عليه رزقه » وقصر على قدر كفايته وحاجته وقوت يومه »

بحيث لم يزد على مؤنة معاشه

« فيقول » مشتكياً إلى الله ، باثاً شكواه عنده سبحانه

« ربى أهانن » وأذلني ، حيث لم يعط لى ما أعطى وأنعم لفلان

وفلان ، تفضلا وإحسانا

مع أن الفقر خير له من الغنى ، إذ الفقر لو اقترن بالتسليم والرضا

لأدى صاحبه إلى جنة المأوى وملك لا يبلى

والغناء لو لم يقترن بالشكر والإنفاق والإحسان لأدى صاحبه

إلى دركات الجحيم وأودية النيران .

ثم قال سبحانه ...

— ١٧ —

كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ .

« كلا » ردعاً له عن هذا الاعتقاد ... بأن الكرامة باليسرى والتوسعة ، والإهانة بالفقد والفقر

« بل » الكرامة بالإنفاق والإطعام لفقراء الله ، طلباً لمرضاته وأنتم أيها الأغنياء الممسكون ...

« لا تكرمون اليتيم » ولا تتفقدونه بالنفقة والكسوة

— ١٨ —

وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ .

« ولا تحاضون » أى : لا تأمرون غيركم أيضاً

« على طعام المسكين » أو إطعامه

— ١٩ —

وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا .

« وتأكلون التراث » أى : ميراث الأيتام التى هى أخطر المحظورات وأخسها وأخبثها

« أكلا لما » أى : أكلا على سبيل الجمع بين سهامكم وسهام

الأيتام ، بأن تأخذوا وتخزنوا أموالهم لتحفظوا حالهم وتزيدوها لأجلهم» فتأكلوا منها ومن نمائها دائماً

— ٢٠ —

وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا .

« و » ما سبب ذلك إلا أنكم

« تحبون المال حبا جما » كثيراً ، مع حرص شديد ، وأمل كامل، ولا تطعمون الفقراء والمساكين خوفاً من نفاده .

ثم قال سبحانه ...

— ٢١ —

كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا .

« كلا » ردعاً لهم عما هم عليه من حب المال ، والخلط بين الحلال والحرام

يعني : كيف تؤدون أيها البخلاء الممسكون حسابها وقت ...

« إذا دكت الأرض » أي : كسرت واستوت فصارت ...

« دكا دكا » وهباء منبثاً

— ٢٢ —

وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا .

« وجاء » يومئذ

« ربك » يا أكمل الرسل

أى : أمره ، وظهرت طلائع هيبته ، وآثار قهره وجلاله

« و » صف

« الملك » أى : الملائكة الموكلون من عنده سبحانه ، المأمورون لتنفيذ أعمال العباد والحساب والسؤال

« صفا صفا » أى : صفا بعد صف . . . بما يؤمرون من قبل الحق

— ٢٣ —

وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى .

« وجئ يومئذ بجهنم » أى : قد أحضرت وهيأت . . . تهويلا على أصحابها وتفظيعاً . . . وبالجملة . . .

« يومئذ » أى : يوم القيامة التى ظهرت فيها هذه الآثار

« يتذكر الإنسان » المجبول على السهو والنسيان ، المبادر إلى الكفر والكفران ، معاصيه ، وقول من كان يمنيه ويزجره عنها ، وينذره منها ، فيتندم عليها ويتأسف

« وأنى له الذكرى » أى : من أين ينفعه التذكر والذكر حينئذ والتندم والتلهف ؟

إذ نشأة التلافى والتدارك قد انقضت ومضت

وبعد ما قد جزم الإنسان أنه لا نفع يومئذ لتذكره . . .

— ٢٤ —

يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي .

« يقول » متمنيا على سبيل الحسرة والندامة

« يا ليتنى قدمت » فى نشأة الاعتبار والاختبار

« لحياتى » ونجاتى فى هذا اليوم . . . وبالجملة . . .

— ٢٥ —

فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ .

أى : لا يعذب أحد من الزبانية إياه مثل ما عذبه هو نفسه بالحسرة والندامة وأنواع الكربة والكآبة والحرمان والخذلان

— ٢٦ —

وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ .

« ولا يوثق » ولا يحكم

« وثاقه » ونكاله أيضا

« أحد » مثل ما أوثقه وأحكمه هو على نفسه بأنواع الخيبـــة

والخسران وأصناف القطيعة والحرمان

إذ العذاب الروحانى الطارئ من الندامة والخذلان لا يقاس شدة

تأثيره بسائر العذاب الجسمانى .

ثم أشار سبحانه إلى حسن أحوال أرباب العناية والكرامة يومئذ،

من المؤمنين الذين تزودوا فى النشأة الأولى للأخرى ، واتصفوا بالتقوى

ولم يعصوا فى مدة أعمارهم المولى ، ولم يتبعوا الهوى ، بل اطمأنوا

ووطنوا نفوسهم بما جرى عليهم من مقتضيات القضاء

وبالجملة لم يضطربوا مطلقا ، لا فى السراء ولا فى الضراء

ولم يبالوا لا بالشدة ولا بالرخاء

بل قد كان فى دار الدنيا قرينهم الرضاء بعموم ما جرى عليهم

من القضاء

لذلك يقال لهم من قبل الحق يومئذ على سبيل التبشير ...

— ٢٧ —

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ .

ويا أصحاب النفوس الزاكية ، والقلوب الصافية ، المتقررة ،

المتمكنة فى مقام التسليم والرضا

— ٢٨ —

ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً .

« ارجعى إلى » كنف

« ربك » واصعدى على الطريق الذى قد هبطت عنه

« راضية » متصفة بالرضاء ، كما كنت راضية بالقضاء فى النشأة الأولى

« مرضية » مقبولة ، مكرمة ، عند المولى

وبعد ما قد رجعت على الوجه المذكور . . .

— ٢٩ —

فَادْخُلِي فِي عِبَادِي .

« فادخلى فى » زمرة

« عبادى » الذين وصلوا إلى كنف جوارى ، وحصلوا فى مقعد الصدق لدىّ

— ٣٠ —

وَادْخُلِي جَنَّتِي .

« و » بالجملة

« ادخلى جنتى » أى : جنة وحدتى . . . واستريحى فى خلدة لاهوتى .

جعلنا الله ممن خوطب بهذا الخطاب المستطاب ، إنه هو الملهم للصواب ، وعنده حسن المآب .

سورة البلد

مكية — وآياتها ٢٠ — نزلت بعد ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » الذى اختار لنفسه بيتاً صورياً ليكون قبلة لأصحاب الصورة ، وبيتاً معنوياً ليكون وجهة لأرباب القلوب الصافية

« الرحمن » لعباده ، حيث يدعوهم إلى كعبة المقصود

« الرحيم » لهم ، يوصلهم إلى عرفات الوحدة ، وبيت معمور الوجود

— ١ —

لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ .

الذى هو كعبة آمال أرباب الإرادة والطلب ، ألا وهو السواد

الأعظم اللاهوتى ، إذ لا حاجة فى ثبوته ووضوحه إلى القسم بالنسبة إلى أرباب العرفة واليقين

بل أقسم لأصحاب الغفلة والضلال بهذا البلد ، يعنى : مكة شرفها الله التى قد وضعت بيتاً حراماً لا يحل لأحد أن يفعـــل فيها شيأ من المحظورات و المباحات سيما القتل والصيد .

— ٢ —

وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ .

« و » من جملة خواصك ، التى قد اصطفيناك وميزناك بها عن سائر الناس يا أكمل الرسل ، هى أنه

« أنت حل » يعنى : أنت لجمعك ، وكمال جامعيتك ، وحيازة مرتبتك عموم المراتب ، مستحل للتعرض خاصة القتل والأسر فى الحرم بين عموم الناس ، لمزيد فضيلتك ومنزلتك عند الله وزيادة خصوصيتك

« بهذا البلد » الذى حرم على عموم العباد

وإنما أحل لك أيضا ما أحل فى ساعة من نهار لا أزيد منها

وبعد تلك الساعة يحرم لك أيضا

— ٣ —

وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ .

« ووالد » أى : أقسم أيضا بالوالد . . . الذى هو عبارة عن حقيقة آدم الصفى عليه السلام ، حسب ثبوته فى فضاء عالم اللاهوت

« وما ولد » منه ، فى عالم اللاهوت ، وما ولد منه فى عالم الطبيعة بعد هبوطها إلى مضيق الناسوت

وبالجملة بحق هذه المقسمات العظام . . .

— ٤ —

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ .

« لقد خلقنا الإنسان » أى : أظهرنا نشأة ناسوته مغموراً

« فى كبد » تعب ومشقة كبيرة شاغلة لعموم حواسه ومداركه ، بحيث يستوعب ويحيط بجميع القوى والآلات حوائج المعاش وأسبابه

فاشتغل عن الله بسبب ذلك ، وترك أمر معاده أيضا بواسطته

فأخذ فى كسب الأموال ، وجمع الحطام والآثام ، المبعدة عن الحكيم العلام

فصار من غاية استغراقه بالدنيا قد نسى العقبى ، وزلت نعله عن طريق المولى

لذلك كذب وتولى ، واستكبر واستولى ، واستظهر بأمواله وأولاده واستعلى ، وترقى أمره فى الغفلة والغرور إلى أن طغى على الله ،

وبغى على عباده ، وظن أنه لا يغلب ولا يعلى عليه !

كما قال سبحانه مقرعا عليه ، مسفها له مستفهما . . .

— ٥ —

أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ .

« أيحسب » الإنسان المجبول على الكفران والنسيان

« أن لن يقدر » أى أنه لن يستطيع

« عليه أحد » فينتقم منه ، أو يأخذه على ما صدر عنه من العتو والعناد ؟ !

ومن كمال بطره وغروره ومفاخرته على بنى نوعه . . .

— ٦ —

يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا .

« يقول » على سبيل الرعونة والخيلاء والسمعة والرؤيا قد . . .

« أهلكت » وأنفقت فى سبيل الله

« مالا لبداً » مالا كثيراً مابداً منضداً مجتمعامترا كما

— ٧ —

أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ .

« أيحسب » ويعتقد ذلك الأحمق الباهى

« أن لم يره أحد » أى : أنه لم يعلم الله إنفاقه ونيته فيه ، واعتقاده عليه ، وإبطاله بالمن والأذى ؟ !

كيف يتأتى له إنكار إطلاعنا عليه وعلى ما صدر عنه ؟ !

— ٨ —

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ .

« ألم نجعل له » ألم نظهر فى جسده حين صورناه ، حسب حولنا وقوتنا وكمال قدرتنا

« عينين » ليبصر بهما عجائب صنعتنا وغرائب حكمتنا ؟ !

— ٩ —

وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ .

« و » أيضا ، ألم نجعل له

« لسانا » ليعرب ويترجم به عموم ما يدور فى خلده

« وشفتين » معينين على التكلم ، والإعراب على وجه الإفصاح والتوضيح[1]

---

(١) ونعمة أخرى غير ما ذهب إليه المفسر العظيم ...
كأنه يراد أن يقال : انظروا ماذا فى خلق العيون من عجائب وغرائب . .
ان العيون معامل التقاط وتحميض وتكبير وتعكيس للصور فى مراياها . . .

— ١٠ —

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ .

« و » بالجملة قد

« هديناه » بإعطاء هذه النعم العظام

« النجدين » أى : طريقى الخير والشر

والهداية والضلالة ، واختبرناه بهما وابتليناه بأنه : أى طريق يختار لنفسه بعد ما وفقناه لكليهما ، ونبهناه عليهما ، وبعد ما أعطيناه ما أعطيناه وهديناه ما هديناه ؟

— ١١ —

فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ .

« فلا اقتحم » وما دخل الإنسان المجبول على الكفران والنسيان

« العقبة » الكؤدة الوعرة على نفسه ، الشاقة لها ، حتى يؤدى شكر ما أعطيناه

= تفكروا فيها وفى عجائبها ...

وتفكروا : ماذا فى خلق اللسان ... وكيف يلوك الطعام ، ويستحلب اللعاب ثم يقذفه إلى البلاعيم ؟ !

وتفكروا : ماذا فى الشفتين من عجائب ، حين تلتقط الأطعمة والأشربة وتلقيها إلى الأفواه ... ثم انظروا عجائب اختلافها وما تثيره بين الجنسين من إثارات ؟ ! !

ثم أبهمها سبحانه تعظيما وتفخيما فقال . . .

— ١٢ —

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ .

« وما أدراك » أيها المغرور بالحياة المستعارة الدنياوية ولوازمها « ما العقبة » الكؤدة ، فى طريق أهل الإيمان والعرفان ؟

ثم بينها بقوله . . .

— ١٣ —

فَكُّ رَقَبَةٍ .

أى : العقبة الكؤدة عبارة عن فك الرقبة المملوكة للنفس الأمارة ، عن رقية الأمانى والآمال الطوال[1]

— ١٤ —

أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ .

« أو » العقبة الكؤدة

---

(١) من أعلى وأغلى المذاهب ما ذهب إليه الأستاذ الكبير فى تفسيره هذا . . . إنه يرى أن اقتحام العقبة . . . أن أشق عقبة فى طريق الإنسان . . . هى فك رقبته . . . هى تحرير نفسه من شهواتها . . . هنالك يستطيع أن ينطلق إلى ربه . . . وإنه لرأى عظيم . . . لا يدركه إلا من كان ذا حظ عظيم ! ! !

« إطعام » لفقراء الله وعجزة عباده

« فى يوم ذى مسغبة » أى : حاجة شديدة ، وجوع مفرط

— ١٥ —

يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ .

أى : له رحم وقرابة إلى المطعم

— ١٦ —

أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ .

قد أسكنه الفقر ، وأغبره فى تراب المذلة والصغار

— ١٧ —

ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ .

« ثم » بعد ما أقدم على اقتحام العقبة المذكورة قد

« كان من الذين آمنوا » بالله ، وأيقنوا أن ما فى يدهم لله ، ومن مال الله ، وهم منفقون بأقدار الله ، لعيال الله ، فى سبيل الله

« و » مع إيمانهم بالله ، واتصافهم بالأعمال الصالحة المؤكدة لإيمانهم قد

« تواصوا » بينهم ، أى : أوصى بعضهم بعضا

« بالصبر » على مشاق التكاليف الإلهية ، ومتاعب الطاعات المأمور بها لهم

« و » كذلك

« تواصوا » بينهم

« بالمرحمة » والشفقة على عباد الله ، وتعظيمهم ، والتحنن نحوهم ، والإحسان معهم ، ولو بكلمة طيبة ، وبالجملة . . .

— ١٨ —

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ .

« أولئك » الموصوفون بهذه الكرامة العظمى

« أصحاب الميمنة » عند الله ، أى ذوو اليمن والكرامة ، وأنواع اللطف وأعلى الدرجات والمقامات

ثم قال سبحانه على مقتضى سنته المستمرة فى كتابه . . .

— ١٩ —

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ .

« والذين كفروا » وكذبوا

« بآياتنا » الدالة على عظمة ذاتنا ، وكمالات أسمائنا وصفاتنا

« هم أصحاب المشأمة » أى ذوو الملامة والندامة ، المأخوذن بشؤم كفرهم ومعاصيهم ، المجزيون بفواسد ما اقترفوا من الجرائم والآثام ، لذلك . . .

— ٢٠ —

عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ .

مطبقة مغلقة مكتوبة محفوفة ، بحيث لا يمكنهم التنفس فيها أصلا لكونهم منهمكين فى النشأة الأولى فى لوازم الإمكان ، بحيث لا يمكنهم التنفس من لوازمها ومقتضاها أصلا .

سورة الشمس

مكية — وآياتها ١٥ — نزلت بعد القدر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » المنزه عن الظهور والبطون بحسب ذاته

« الرحمن » بإظهار كمالات أسمائه وصفاته حسب بسطه

« الرحيم » بإخفائها فى وحدة ذاته حسب قبضته

— ١ —

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا .

« والشمس » أى : بحق شمس الذات الأحدية ، المتلألئة المتجلية ، من سماء عالم العماء ، وأفق فضاء اللاهوت

« و » بحق

« ضحاها » المنبسطة على مرآة العدم ، القابلة لانعكاسها

— ٢ —

وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا .

« و » بحق

« القمر » أى : الوجود الإضافى الكلى ، المحيط على مطلق العكوس ، والأظلال المنعكسة من مرآة العدم ، التى هى عبارة عن سراب العالم عيناً وشهادة

« إذا تلاها » أى : تبعها ولحقها

أى : شمس الذات فى الإحاطة والشمول

— ٣ —

وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا .

« والنهار » أى : بحق نشأة الظهور والبروز ، المنعكسة من عالم الأسماء والصفات

« إذا جلاها » أى : شمس الذات ، وفصلت آثار أسمائها وصفاتها الكامنة فيها على صفحات الكائنات

— ٤ —

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا .

« والليل » أى : نشأة البطون والخفاء المنعكسة عن عالم العماء ، وعن السواد الأعظم ، الذى قد اضمحلت دونه نقوش عموم الكثرات مطلقا ، وتلاشت آثار الأسماء والصفات جملة ، لكمال تشعشعها وبريقها ولمعانها المفرطة ، المسقطة للشعور والإدراك مطلقا

ولهذا سمى مرتبة العماء بالسواد الأعظم

« إذا يغشاها » حيث خفيت شمس الظهور ، من إفراط النور ، ومن كمال تشعشها ولمعانها فى البريق والظهور (١)

— ٥ —

وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا .

---

(١) هل تستطيع أن تجد هذا فى مرجع من المراجع ؟ !

كلا ... ثم كلا ... إنما هو الكشف ... حين يكشف الله تعالى ... ما شاء من الغطاء ... فيبصر القلب ما شاء الله له أن يبصر ! ! !

« والسماء » أى : سماء الأسماء والصفات ، المزينة بنجوم الآثار . والشؤن الالهية المتفرعة عليها

« وما بناها » وأظهرها من التجليات الحبية ، الجمالية والجلالية

— ٦ —

وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا .

« والأرض » أى : استعدادات القوابل السفلية القابلة لانعكاس آثار العلويات

« وما طحاها » ونشرها ، من الآثار المترتبة المتفرعة على الصفات الفعالة الالهية

— ٧ —

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا .

«ونفس» أى : روح فائض من عالم الأسماء والصفات على هيا كل المسميات المحسوسة ، وقوابل العلويات والسفليات المدركة ، ليستفيد كل منها بتذكر الموطن الأصلى والنشأة الجبلى

« وما سواها » أى : عدلها ، وركبها ممتزجة من الآثار العلوية والسفلية

وبعد ما سواها وعدلها كذلك . . .

— ٨ —

فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا .

على مقتضى ما أودع فيها من الآثار العلوية والسفلية ، وحصص اللاهوت والناسوت ثم كلفها ليتميز المحق من المبطل والضال من الهادى، والمؤمن من الكافر ، تتميما للحكمة المتقنة ، البالغة الإلهية ، وإظهاراً للقدرة الكاملة .

ثم قال سبحانه مجيباً لهذه المقسمات المذكورة على سبيل الكناية والتنبيه . . .

— ٩ —

قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا .

« قد أفلح » وفاز عند الله ، بالدرجات العلية والمقامات السنية « من زكاها » أى : من طهر نفسه عن الرذائل السفلية ، ومقتضياتها الإمكانية ، وأمانيها الدنية الدنياوية

— ١٠ —

وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا .

« وقد خاب » خسر وهلك

« من دساها » ونقص عن كمالاتها ، وأضلها عنها ، حيث حملها
على اقتراف أنواع المعاصى والآثام ، المترتبة على سفليات الطبائع
والهيولى ، ورذائل الإمكان ، المورث لهم أنواع الخيبة والخسران ،
وأصناف الحرمان والخذلان لذلك . . .

— ١١ —

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا .

« كذبت ثمود » المبالغ فى إهلاك النفس وتضليلها وتغريرها ،
عمن أرسل إليها وأمر لإرشادها ، حين انحرفت عن جادة العدالة
« بطغواها » أى : بسبب طغيانها وتغايبها حظوظ السفليات
على حظوظ العلويات ، وبعدوان القوى الأمارة على جنود المطمئنة ،
وبانتهار نشآت اللاهوت بغلبة مقتضيات الناسوت
وذلك أنهم قد بالغوا فى العتو والعناد ، والتكذيب والافساد ،
سيما وقت . . .

— ١٢ —

إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا

« إذ انبعث » أى : قام وأقدم مسرعاً
« أشقاها » أى أشقى القبيلة وارذلها وأضلها عن طريق الحق

وهو قدار بن سالف ... إلى عقر الناقة المعهودة المخصوصة المحفوظة بالوصية الإلهية ، وبعد تصميم العزم أى : العقر ...

— ١٣ —

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا

« فقال لهم رسول الله » بإذن الله ووحيه وهو صالح عليه السلام ، على مقتضى شفقة النبوة ، ذروا ...

« ناقة الله » واحذروا عن عقرها

« و » بالجملة لا تمسوها بسوء مطلقا ، فيأخذكم عذاب عظيم أى : لا تعرضوا لها وذروا أيضا لها ...

« سقياها » التى قد عينها الله حسب حكمته ومصلحته ، ولا تذبوها عن الماء والكلأ ...

— ١٤ —

فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا .

« فكذبوه » ولم يقبلوا قوله ونصحه واجتمعوا على عقرها

« فعقروها » فخرج الرسول من بينهم خوفاً من حلول عذاب الله عليهم ، وسطوة قهره وجلاله ، وبعد ما ارتكبوا المنهى المحظور ...

« فدمدم عليهم ربهم » أى : أطبق عليهم الصيحة الهائلة فأهلكهم بها بالمرة .

« بذنبهم » الذى صادر عنهم ، وهو تكذيب الرسول المرشد لهم من قبل الحق

«فسواها» أى : سوى البلاء على تلك القبيلة وأعمه عليهم وأشمله، بحيث لا ينجو منهم أحد

وبالجملة . . . قد أقدم العاقر اللعين على عقرها واتفقوا معه

— ١٥ —

وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا .

« ولا يخاف » لا هو ولا هم

« عقباها » أى : ما يعقب عقرها ويتبعه ، وما يترتب عليه من أنواع البلاء والمصيبة والعناء ، مع أن الرسول قد أخبرهم بها وحذرهم عنها ، فكذبوه واستهزؤا به ، لذلك لحقهم ما لحقهم بشؤم أعمالهم الفاسدة .

سورة الليل

مكية — وآياتها ٢١ — نزلت بعد الأعلى

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

« بسم الله » المتجلى على عموم شؤنه ، المترتبة على أسمائه الغير المحصورة

« الرحمن » لجميع مظاهره ، حيث يطلعها على ذاته ، ليتوجه الكل نحوه طوعا

« الرحيم » لنوع الإنسان ، حيث نبه عليه سر سريان وحدته الذاتية ، على صحائف الكثرات المرئية الموهوبة ، ليتصف بالخلافة والنيابة الإلهية ، ويتحلى بحلل التفضيل والتكريم

— ١ —

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى .

أى : بحق الهوية الغيبية الإلهية ، المتمكنة فى مكمن العماء الذاتى ، المغشى لنقوش الكثرات الموهوبة ، المترتبة على الأسماء والصفات الذاتية ، المنعكسة منها من شدة بريقها ولمعانها

— ٢ —

وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى .

أى : وبحق الهوية الشهادية الإلهية ، فى عالم البروز والجلاء ، المظهرة لآثار الأسماء والصفات ، إظهاراً للحكمة البالغة ، التى هى ترتب الإيمان والعرفان ، على تلك الآثار

— ٣ —

وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى .

أى : وبحق القادر الحكيم العليم ، الذى قدر وصور برزخ الإنسان المصور على صورة الرحمن ، الجامع لمراتب عموم الأكوان ، حيث ركبه وأودع فيه من الحصص اللاهوتية الغيبية ، والناسوتية الشهادية ، ثم كلفه بالتكاليف الشاقة ليترقى من حضيض الناسوت ، إلى ذروة اللاهوت ، لذلك استخلفه واصطفاه وانتخبه من عموم مظاهره ، وهداه ، ليترتب على مرتبته هذه المصلحة العلية الحاصلة السنية

وإنما خلقه زوجاً ليدوم ولا يبيد فى نشأة الشهادة ، وجود المرتبة التى هى الغاية القصوى من نشأة الشهادة

ثم قال سبحانه مجيباً للقسم ، مخاطبا لأفراد الإنسان ، تربية لهم وتنبيها على مقاصدهم ومصالحهم

— ٤ —

إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى .

مختلف متفاوت حسب تفاوت ما أودع ربكم فيكم من الحصص المذكورة

— ٥ —

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى .

« فأما من أعطى » منكم للفقراء الفاقدين وجه الكفاف ، مما ساق له الحق من الرزق الصورى والمعنوى ، مقارنا للخشوع والخضوع ، وخلوص النية وصدق العزيمة ، وأتى بأنواع الطاعات والعبادات المأمور بها

« واتقى » واجتنب عن مطلق المحارم والمنهيات التى قد وردت الزواجر الإلهية فيها

— ٦ —

وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى .

« أى : صدق بعموم مقتضيات الأسماء الحسنى الإلهية ، وبجميع آثار صفاته العليا التى لا تعد ولا تحصى

— ٧ —

فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى .

« فسنيسره » نعده ونوفقه

« لليسرى » أى : للطريقة السهلة السمحة الموصلة إلى مقصد الوحدة والمعرفة ، المنجية عن غياهب الشكوك وظلمات الأوهام

— ٨ —

وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى .

« وأما من بخل » ولم ينفق على مقتضى ما أمره الحق

« واستغنى » بلذات الدنيا الدنية عن اللذات الأخروية

— ٩ —

وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى .

بعموم مقتضيات الأسماء

— ١٠ —

فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى .

« فسنيسره » نبتليه ونستعده

« للعسرى » أى : للطريقة العسرة الوعرة ، التى هى طريق

الكفر والمعصية ، المؤدية إلى أودية الشهوات ، المستلزمة لدركات النيران

— ١١ —

وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى .

« و » بعد ما نأخذه فى النشأة الأخرى بسبب بخله وكفره

« ما يغنى » وما يكف ويدفع

« عنه ماله » شيأ من غضبنا عليه

«إذا تردى» أى : وقت إذ هوى وهلك فى قعر جهنم الإمكان ، وسعير نيران الخيبة والخذلان .

ثم قال سبحانه تعريضا للمفرطين المسرفين . . .

— ١٢ —

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى .

يعنى : ما علينا من إصلاحكم إلا الهداية والإرشاد فهديناكم ولم تهتدوا!

— ١٣ —

وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى .

يعنى : ما لنا إلا التبيين والتنبيه بأن الآخرة خير من الأولى

فبينالكم طريق المعاش فى النشأة الأولى ، وطريق التزود والتهيئة للأخرى

فلم تقبلوا منا ، ولم تمتثلوا لما بينا ، مع إنا قد أكدنا هدايتكم وإرشادكم بأنواع الإنذار والتبليغ

— ١٤ —

فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى .

تتوقد وتتلهب من شدة سورتها . . . وبينا لكم أيضا أنها . . .

— ١٥ —

لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى .

« لا يصلاها » ولا يدخل فيها « إلا الأشقى »

— ١٦ —

الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى .

« الذى كذب » بالكتب الالهية وما فيها من الحكم والأحكام

« وتولى » اعرض عن الرسل ، وانصرف عن دعوتهم

ومع ذلك لم تقبلوا منا عموم ما أنزلنا وبينا . . .

— ١٧ —

وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى .

« و » كذا قد بينا لكم أيها المكلفون أنها

« سيجنبها » أى : يبعد ويخلص عن عذاب النار المسعرة فى دركات الجحيم

« الأتقى » عن المحارم والمحظورات الشرعية مطلقا

— ١٨ —

الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى .

« الذى يؤتى » يعنى : ومع ذلك التقوى ، يتصدق و يعطى

« ماله » فى سبيل الله ، طلباً لمرضاة الله ، على فقراء الله

« يتزكى » ويتطهر عن التلطخ بقاذورات الدنيا الدنية مطلقا

بحيث لم يبق فى قلبه سوى التوجه إلى المولى

حتى وصل إلى سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى

ومع وجود هذه المبالغات البليغة لم تتنبهوا ولم تتفطنوا !

— ١٩ —

وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى .

« و » بالجملة . . .

« ما لأحد عنده من نعمة تجزى » يعنى: ما يصح وما ينبغى ويليق لأحد أن يتصدق بماله على طمع الجزاء والعوض والمكافأة

... بل اللائق بحاله أن لا يعطى لمن يعطى ...

— ٢٠ —

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى .

يعنى : طلبا للقاء الله فى يوم الجزاء ، لا لأجل الجزاء والثناء الدنيوى ، ولا للثواب والعطاء الأخروى أيضا ...

بل رجاء أن يلقى ربه الرحيم ، ويطالع وجهه الكريم

— ٢١ —

وَلَسَوْفَ يَرْضَى .

« ولسوف يرضى » المعطى المذكور عن الله ، بفوز شرف اللقاء ، وبكرامة كشف الغطاء

سورة الضحى

مكية — وآياتها ١١ — نزلت بعد الفجر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ .

« بسم الله » الذى ظهر على حبيبه صلى الله عليه وسلم ، حتى أخرجه عن مضيق الناسوت مهاجراً إلى فضاء اللاهوت

« الرحمن » لعموم عباده ، حيث أرسل إليهم حبيبه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين

« الرحيم » لخواصهم ، يرشدهم بمتابعته إلى روضة الرضاء وجنة التسليم

— ١ —

وَالضُّحَىٰ .

أى : بحق شروق شمس الذات الصمدية ، عند ضحى بعثة الحضرة الختمية الخاتمية الأحمدية

— ٢ —

وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ .

أى : وبحق الانجلاء والانكشاف التام ، المنعكس من عالم العماء اللاهوتى ، المسمى بالليل السرمدى ، المغشى لمطلق الأضواء والأنوار المتفاوتة ، المدركة المرئية ، فى نشأتى الغيب والشهادة ، المقتبسة من الأسماء والصفات ، المستتبعة للاضافات ، المتكثرة فى عالم التفضيل (١)

---

(١) أيمكن أن يكون هذا من طور العقل ؟ !

كلا إنما هو الكشف . . . ذلك البحر السرمدى . . . والعلم اللدنى . . . الذى يستمد منه الرجل ! !

— ٣ —

مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى .

« ما ودعك » ما انقطع قطع المودع عنك

« ربك » الذى رباك يا أكمل الرسل على عينه ، واصطفاك لنفسه

« وما قلى » أى : ما أبغضك ربك ، وما أسخطك

يعنى : لا تحزن من قول المشركين وزعمهم فى حقك يا أكمل الرسل : قد ودعك ربك وقلاك ربك فى النشأة الأولى ... بل راعاك فى أولاك ، ولاقاك فى أخريك

— ٤ —

وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى .

« وللآخرة » التى هى حصة جبروتك ونشأة لاهوتك

« خير لك » وأنفع بك

« من » نشأتك

« الأولى » التى هى حصة ملكك فى نشأة ناسوتك

وكيف لا تكون نشأتك الآخرة خيراً من نشأة الدنيا ، إذ هى باقية ببقاء الله ، دائمة بدوامه ، وهذه محدثة فانية ؟ بل هى باطلة زاهقة

زائلة ، بزهوق التعينات ، وبطلان الأوضاع والإضافات ، التى هى حاصلة منها

— ٥ —

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ .

« و » بالجملة . . . لا تحزن أيها النبى المستوى على جادة العدالة اللاهوتية من هذيانات أهل الكفر والضلال

« لسوف يعطيك ربك » بعد تجردك عن ملابس ناسوتك ، وملاحف بشريتك ، من اللذات اللاهوتية ، التى لا يدرك كنهها ، إلا من اتصف بها ، وذاق منها

« فترضى » أنت حينئذ من ربك ، ويرضى ربك عنك أيضا

وبعد ما سمعت يا أكمل الرسل ما سمعت من مواعيد ربك ، تذكر كرمه معك فيما مضى ، وترقب بكراماته التى ستأتيك

وبالجملة . . . لا تيأس من روح الله ورحمته

وكيف تيأس وتقنط أنت أيها النبى المغمور المستغرق فى بحار لطفه وجوده ، عن كرم مربيك الكريم ؟

— ٦ —

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ .

« ألم يجدك » حين بروزك وتربيتك

« يتيما » متفقداً حالك حين كونك بلا رشد ولا مرشد

« فآوى » أى : قد ضمك سبحانه نحو كنف حفظه وحضانته ،

تحننا وإشفاقاً ، وجذبك عنك ، إليه ، وقرن اسمك باسمه

— ٧ —

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى .

« ووجدك » أيضا

« ضالا » خاليا عن الحكم والأحكام مطلقا ، محفوفاً بلوازم

الإمكان ، كما هو حال الأقران والاخوان

«فهدى» أى : هداك وأرشدك إلى الاسلام ، وأوصلك إلى زلال

التوحيد والعرفان

— ٨ —

وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى .

« ووجدك » أيضا

« عائلا » فقيراً حسب إمكانك ، ومقتضيات بشريتك الموروثة

لك من نشأة ناسوتك

« فأغنى » أى : قد أغناك بغنائه الذاتى ، بعد ما أفناك فى ذاته ، وشرفك بحال لاهوتك ، بعد ما أخرجك عن ملابس ناسوتك بالمرة

وبعد ما وجدك ربك يا أكمل الرسل يتيما فآواك ، وصادفك ضالا فهداك ، ولاقاك فقيراً فأغناك

وبالجملة قد كرمك واصطفاك وعظمك واجتباك ، تذكر عموم ما أعطاك ربك وأولاك ، وتخلق بأخلاق مولاك

— ٩ —

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ .

« فأما اليتيم » الفاقد الرشد والمرشد ، متى يأوى إليك للرعاية والاسترشاد

« فلا تقهر » أى : لا تردعه ولا تزجره ، وتكلم معه حسب استعداده ، وبقدر قابليته إلى حيث توصله وترشده إلى طريق الطلب والإرادة(١)

— ١٠ —

وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ .

---

(١) تأمل كيف ذهب الرجل مذهبه البديع فى تأويل الآية ؟ !
انه يرى أن اليتيم حقا هو الضال ... وأن على أهل النور أن يوجهوه الى ربه بالأسلوب الذى يناسب تفكيره ! ! !

«وأما السائل» الذى يسألك من مكنونات ضميرك ، ومن السرائر المودعة فيك ، من بدائع الودائع اللاهوتية(1)

« فلا تنهر » أى : لا تمنعه ولا تخيبه ، بل أحسن إليه كما أحسن الله إليك ، حسب استفاضته واستعداده

— ١١ —

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ .

« وأما بنعمة ربك » وهدايته وإرشاده

« فحدث » يا أكمل الرسل ، مع عموم المسترشدين المستكملين

فإن حديثك عن سرائر الدين ، وأسرار المعرفة واليقين ، مع المؤمنين المسترشدين ، والطالبين المستوجبين ، شكر منك لنعم الله ، وأداء لحقوق كرمه ، واستجلاب لمزيد نعمه وفضله

---

(١) تأمل قوله : «من السرائر المودعة فيك ، من بدائع الودائع اللاهوتية» ؟! بلاغة رفيعة جداً ... يستحيل صدورها إلا عن قلب بلغ غاية رفيعة من درجات الكشف !

بدائع الودائع الإلهية ؟ ! !

ما أجمل هذا التعبير ! ! !

سورة الشرح

مكية — وآياتها ٨ — نزلت بعد الضحى

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » الذى شرح صدور عباده ، لقبول سرائر المعرفة واليقين.

« الرحمن » عليهم برفع الأوزار والأثقال ، المانعة عن القبول عنهم بعد هداهم إلى الصراط المستبين

« الرحيم » لهم ، يعليهم ويرفع ذكرهم ، بعد ما أخرجهم عن مقتضيات بشريتهم إلى أعلى عليين

— ١ —

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ •

يا أكمل الرسل ، ولم نجعل ممن اجتبيناه للخلافة ، واصطفيناه للنيابة والرسالة ، ولم نفتح ونوسع خلدك لقبول الآيات الواردة عليك من لدنا ، وللامتثال لمقتضى الأحكام الموردة من عندنا ، تفضلا منا ، إليك ، وامتنانا عليك

مع كونك أميا ، عاريا خاليا عنها ، وعن ما يترتب عليها بالكلية

وبعد ما قد شرحنا صدرك لشعائر الإسلام

ووسعناه لقبول معالم الدين ، ومراسم التوحيد واليقين

قد اخترناك للرسالة والتبليغ إلى عموم الأنام

— ٢ —

وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ .

« ووضعنا » أى : قد أزلنا

« عنك » بعد ما اخترناك للرسالة وأوحينا إليك

« وزرك » أى : ثقلك الطارئ عليك من أجل أعباء الرسالة وأداء التبليغ

— ٣ —

الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ .

« الذى » من غاية شدته وثقله قد

« أنقض » أثقل وأتعب

« ظهرك » لأنك أمى ، ذاهل عن مطاق الأحكام المأمور بها ، لذلك ثقل واشتد وضاق عليك الأمر (١)

---

(١) من أحلى وأعلى وأغلى ... اللفتات التى التقطها الرجل من بحار الشخصية المحمدية ! ! !

=

— ٤ —

وَرَفَعنَا لَكَ ذِكْرَكَ .

« و » بعد ما وفقناك على تبليغ الرسالة ، وأيدناك بالآيات الموردة المنزلة فى موارد الأحكام من لدنا قد

« رفعنا لك ذكرك » حيث قرنا إسمك باسمنا ، وخلفناك عنا ، واخترناك لخلافتنا ونيابتنا

لذلك قد أنزلنا فى شأنك (من يطع الرسول فقد أطاع الله) و (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) إلى غير ذلك من الآيات

وأى رفعة وكرامة أعلى وأعظم من ذلك ؟

وبعد ما كرمناك بأمثال هذه الكرامات العلية ، لا تيأس من سعة رحمتنا وروحنا واعانتنا إياك وإغاثتنا لك

ولا تحزن على أذى قومك واستهزائهم بك ، وتطاول معاداتهم وعنادهم معك

إنه يرى أن كون النبى صلى الله عليه وسلم أمياً قد زاد من إحساسه بمتاعب الرسالة وهذا صحيح ...

ذلك إذا جئت إلى رجل لا يقرأ ولا يكتب وكلفته أن يسوس العالم ويقوده نحو أعلى درجات الحضارة وأرفع مستويات العلوم لكنت كمن يطلب إليه أمراً مستحيلا ... إذ كيف يعطى العلم وهو ليس بقارئ ولا كاتب !

ولكن محمداً صلى الله عليه وسلم أعطى علوما فوق علوم البشر جميعا ... وهو النبى الأمى !!!

— ٥ —

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا .

« فإن مع العسر » الذى قد عرض عليك ، ولحق بك من قبلهم أحيانا

« يسراً » ناشئاً من قبل الحق ، مقابلا له ، واصلا إليك من حيث لا تحتسب

ثم كرر سبحانه مبالغة وتأكيدا

— ٦ —

إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا .

« إن مع العسر » الذى ألم بك الآن من قبل أعدائك

« يسرا » ناشئا منا ، مترتبا من عموم الجهات كيف ما اتفق

وفى تعريف العسر أولا ، وإعادته أيضا معرفة ، وتنكير اليسر أولا وإعادته نكرة أيضا ، إشعار بقلة طرق العسر وأسبابه ، وكثرة طرق اليسر وموجباته

يعنى : لا تيأس من العسر الطارئ عليك أحيانا معهودة معدودة ، عن يسر ملازم لك فى أكثر الأوقات وأغلبها

بل مصاحب معك فى جميع حالاتك

وبعد ما قد أمرناك يا أكمل الرسل بتبليغ الرسالة ، وأرسلناك لنشرها ، فلك أن تمتثل بالمأمور به على مقتضى الوحى والإلهام

— ٧ —

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ .

« فإذا فرغت » عن الدعوة والتبليغ ، على مقتضى منصب الرسالة ، ومرتبة النبوة

« فانصب » نفسك ، واتعبها بالمجاهدات والرياضيات القالعة لعرق لوازم الإمكان عن أصلها ، على مقتضى رتبة الولاية

— ٨ —

وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ .

« و » بالجملة

« إلى ربك » لا إلى غيره من وسائل المظاهر وأسبابها

« فارغب » فى خلواتك ، وفى خلال سؤلك وصـــلواتك ، وفى عموم أوقاتك وحالاتك ، بلا رؤية الوسائل فى البين ، والوسائط فى العين

سورة التين

مكية — وآياتها ٨ — نزلت بعد البروج

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » الذى خلق الإنسان فى أحسن تقويم

« الرحمن » عليه بأنواع التعظيم والتكريم

« الرحيم » عليه يوصله إلى روضات النعيم

— ١ —

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ .

« و » بحق

« التين والزيتون » هما جبلان فى الأرض المقدسة ، يكثر فيهما كلتا الفاكهتين

— ٢ —

وَطُورِ سِينِينَ .

« و » بحق

« طور سينين » أى : الجبل الذى قد ناجى عليه مع ربه موسى الكليم

— ٣ —

وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ .

« و » لا سيما بحق

« هذا البلد الأمين » يعنى مكة شرفها الله

سماها أمينا لأن من دخله مؤمنا محتسبا كان آمنا من العذاب الأليم

وبالجملة . . . بحق هذه المقسمات العظام

— ٤ —

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ .

« لقد خلقنا الإنسان » أى : جنسه

« فى أحسن تقويم » وأقوم تعديل ، إذ لا مظهر أعدل منه وأقوم ، بحسب الظاهر والباطن ، لذلك اصطفيناه لخلافتنا من بين خليقتنا ، واجتبيناه لرسالتنا إلى عموم بريتنا

— ٥ —

ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ .

« ثم » بعد ما تعلقت إرادتنا لرداءة فعله

« رددناه » وحططناه من تلك المرتبة العلية والدرجة السنية

« أسفل سافلين » ألا وهى مقتضيات الإمكان المستلزم لدركات

النيران ، وسلاسل أمانيها ، وأغلال آمالها الطوال

— ٦ —

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ .

« إلا الذين آمنوا » بوحدة الحق

« وعملوا الصالحات » المخلصة لهم عن قيود الإمكان ، المقربة لهم إلى فضاء الوجوب

« فلهم » بعد ما وصلوا إلى عالم اللاهوت

« أجر غير ممنون » أى : نعم لا تنقطع ، ولا يمن بها عليهم أصلا

وبعد ما نبه سبحانه على ما نبه بأبلغ وجه وآكده ، حث عموم الإنسان على الإيمان ، ورغبهم إلى طريق اليقين والعرفان ، فقال على وجه التقريع والتوبيخ ...

— ٧ —

فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ .

« فما يكذبك » أى : يحملك على الكفر والطغيان والتكذيب والكفران ، أيها الإنسان المجبول على فطرة التوحيد والعرفان

« بعد » أى : بعد ما قد ظهر الحق ، ولاحت دلائل التصديق وأمارات اليقين

« بالدين » والسبيل المستقيم

— ٨ —

أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ .

« أليس الله » القادر المقتدر على أمثال هذا الرد والخالق بالإرادة والاختيار

« بأحكم الحاكمين » على كل ما شاء وأراد ، سواء كان بدأ أو إعادة ، فله أن يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، لا يسأل عن فعله ، إنه حكيم مجيد .

سورة العلق

مكية — وآياتها ١٩ — وهى أول ما نزل من القرآن

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » الذى دبر أمر الإنسان بأحسن تدبير

« الرحمن » عليه ، حيث صوره بأحسن تصوير

« الرحيم » عليه ، حيث هداه إلى خير منقلب ومصير

— ١ —

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ .

« اقرأ » يا أكمل الرسل ، وتذكر بعد ما أدركتك العناية الحقية، وحطت عليك الكرامة الإلهية

« باسم ربك » أى : داوم على تذكر عموم أسماء مربيك

« الذى خلق » كل شىء ، وأظهره من كتم العدم حسب أسمائه وصفاته ، ورباه بأنواع اللطف والكرم ، وأباح عليه من جلائل النعم سيما . . .

— ٢ —

خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ .

« خلق الإنسان » وخصه من عموم الأكوان بمزيد الإنعام والاحسان ، مع أنه قد خلقه وقدر وجوده

« من علق » دم معلوق ، مستنزل ، مكون من منى مرذول ، مكون من الدم المسفوح ، المتكون من أجزاء الأغذية(١)

---

(١) ما شاء الله !!!
كأنما هو طبيب أمراض نساء ، تخصص فى بحوث علوم الأجنة والحمل والولادة !
يوشك ما ذهب إليه أن يتطابق تماما مع كيفية تخلق الجنين فى الأسابيع الأولى!

وبعد ما أمر سبحانه حبيبه صلى الله عليه وسلم بالقراءة ، وتعديد الأسماء وإحصائها أولا ، أمره بالقراءة أيضا ثانيا ، للتأمل والتدبر فى معانيها ، والاستكشاف عن فحاويها ، برموزاتها المطوية فى مطاوى ألفاظها وعباراتها فقال . . .

— ٣ —

اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ .

« اقرأ » قراءة تدبر وتعمق واستكشاف ، لما فى مطاويها من البدائع والغرائب ، المودوعة فيها

ولا تنظر إلى كونك أميا ، لست من أهل الإملاء

« وربك الأكرم » الأكمل فى الكرامة والهداية ، لأرباب العناية

— ٤ —

الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ .

« الذى علم » الخط والرقم

« بالقلم » الذى هو بمراحل عن التكلم والتفهم

ولا تستبعد من كمال كرامته وعنايته تعليمك يا أكمل الرسل . . .

إذ هو سبحانه . . .

— ٥ —

عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.

« علم الإنسان » المصور على صورة الرحمن عموم ...

« ما لم يعلم » من البيان والتبيان ، وأنواع طرق الكشف والعيان

فأنت يا أكمل الرسل ، من أعز أفراد الإنسان شأنا ، وأعلاه شرفاً وبرهاناً ، وأرفعه قدراً وإمكاناً .

وبعد ما أشار سبحانه إلى مبدأ الإنسان ومادته ، وإلى منتهاه وغايته ، تعجب سبحانه من حاله ، واستبعد ما صدر عنه من الكفران والطغيان ، والبغى والعدوان مع كمال عناية الله به ، ووفور كرامته له ، فقال على سبيل الردع والزجر ...

— ٦ —

كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ .

« كلا إن الإنسان » المستحدث من الأقذار المهانة ، المترقى إلى غاية الكرامة وأعلى المقام ، حسب فضلنا وجودنا

« ليطغى » ويتجاوز عن حده ، ويستكبر على ربه ، وينسى أصل منشئه لأجل ...

— ٧ —

أن رَّآهُ اسْتَغْـنَىٰ .

« أن رآه » وعلم نفسه أنه

«استغنى» أى : قد صار غنيا عن الله ، مستغنيا عن الافتقار إليه ، مستكبراً على عباده ، يمشى على وجه الأرض خيلاء بما عنده من حطام الدنيا ومزخرفاتها الفانية

وكيف يتأتى لك الطغيان والاستكبار أيها المسترذل المهان ، المستحدث من الماء المهين ؟!

— ٨ —

إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى .

« إن إلى ربك » الذى أظهرك من كتم العدم ، وأحدثك من الأمشاج المرذولة

« الرجعى » أى : الرجوع المعهود الموعود فى النشأة الأخرى ، فسيجزيك ربك بجميع ما صدر عنك ، بعد ما حاسبك عليه حسب العدالة والإنصاف

ثم نص سبحانه على ذكر بعض الطاغين ، المستغنين المستكبرين بما عنده من الجاه والثروة ، وهو أبو جهل اللعين فقال . . .

— ٩ —

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ .

« أرأيت » أيها المعتبر الرائى ، الطاغى الباغى

« الذى ينهى » أى : يمنع ويكف

— ١٠ —

عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ .

« عبداً » كاملا فى العبودية . . . يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم

« إذا صلى » وتوجه نحو ربه بجميع أعضائه وجوارحه ، وأراد أن يصرفه عنها ويعوق عليه

وذلك أن أبا جهل لعنه الله قال : لو رأيت محمداً ساجدا لأطأن عنقه

« فرآه ساجداً

« فجاءه ليطأه

« ثم نكص واستدبر

« فقيل له : ما لك ؟

« فقال : ان بينى وبينه لخندقاً مملوءاً من النار ، وهولا ، وأجنحة . »

ثم خاطب سبحانه هذا الطاغى الناهى خطاب تهديد وتقريع

— ١١ —

أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى .

« أرأيت » أي : اخبرني أيها المفسد المتناهي في البغي والعناد

« إن كان » العبد المصلي نحو الحق تابعاً

« على الهدى » والرشد

— ١٢ —

أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى .

والاجتناب عن مقتضيات الهوى لتنهاه أنت أيها الطاغي عن فعله هذا ، وتمنعه عن رشاده وإرشاده البتة ؟

— ١٣ —

أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى .

« أرأيت » أخبرني أيضاً أنك قد نهيته عن الصلاة

« إن كذب » على الله

« وتولى » أي : أعرض عن مقتضيات أوامره سبحانه ونواهيه

وبالجملة ، نهيته أيها الناهي المتناهي في العتو والعناد عن الصلاة مطلقاً سواء كان على الهدى ، آمراً بالتقوى متجنباً عن الهوى ، أو مكذباً على المولى ، معرضاً عما جرى عليه من القضاء ، مستنكفاً عن مطلق

الأوامر والنواهى والأحكام المأمور بها الموردة فى الكتب السماوية

يعنى : ليس سبب نهيك إلا العصبية والعناد سواء كان محقاً فى فعله أو مبطلا !

ثم قال سبحانه على سبيل التوبيخ والتقريع لهذا المكابر الناهى

— ١٤ —

أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللهَ يَرَى .

« ألم يعلم » ذلك الناهى المتناهى فى الكبر والخيلاء

« بأن الله » القادر المقتدر على وجوه الإنعام والانتقام

« يرى » يعلم ويشهد جميع ما صدر عنه من المجادلة والمراء فيجازيه بمقتضى علمه وخبرته ؟ !

ثم قال سبحانه . . .

— ١٥ —

كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ .

« كلا » ردعاً للناهى عما عليه من المكابرة والعناد

« لئن لم ينته » الناهى المباهى المتناهى فيما عليه من المكابرة والعناد

« لنسفعن بالناصية » أى : لنأخذن البتة بناصيته ، ونسحبنه مكبا

على وجهه نحو النار ، المعدة لتعذيب الكفرة الفجار ، المبالغين فى الكفر والكفران ، على وجه الإصرار والاغترار ، وأى ناصية ؟

— ١٦ —

نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ .

أى : كاذب خاطىء صاحبها ، متناه فى الطغيان والعدوان

وصف الناصية بها للمبالغة والتأكيد

وبعد ما نسحبه كذلك ، ونأخذه على ظلمه هكذا . . .

— ١٧ —

فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ .

« فليدع » ولينادِ حينئذ

« ناديه » أهل مجالسه وأعوانه ، صارخاً عليهم ، مستعيناً بهم ، مستغيثاً بهم ، حتى ينصروه وينقذوه ، من العذاب النازل عليه ، بمقتضى القهر الشامل . . . مع أنا أيضاً . . .

— ١٨ —

سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ .

« سندع » ونأمر يومئذ

« الزبانية » الشرطة الموكلين على جهنم ليجروه نحو النار على وجه الهوان والصغار . . .

ثم كرر سبحانه قوله . . .

— ١٩ —

كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ .

« كلا » تأكيداً لردعه وتشديداً عليه

ثم نهى سبحانه حبيبه صلى الله عليه وسلم عن إطاعة ذلك الباغى ، والإصغاء إلى قوله ، والموانسة معه ، والالتفات إليه بقوله . . .

« لا تطعه » أى : دم يا أكمل الرسل على صلاتك واثبت عليها، ولا تلتفت إلى هذياناته الباطلة

« واسجد » لربك على وجه الخضوع والخشوع

« واقترب » إليه ، وتقرب نحوه باطراح لوازم ناسوتك ، مكبراً إياه ، محرما على نفسك عموم حظوظك من دنياك ، مسقطاً عنك مقتضيات بشريتك ، ولواحق مادتك مطلقا

وفى الحديث صلوات الله وسلامه على قائله : « أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد »

وبالجملة . . . سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .

سورة القدر

مكية — وآياتها ٥ — نزلت بعد عبس

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » الذى قدر عموم المقادير فى حضرة علمه ، ولوح فضائه

« الرحمن » لعباده بإنزال القرآن ، المبين لهم طريق المعرفة والإيمان

« الرحيم » بإيقاظهم عن نوم الغفلة ، ورقود النسيان

— ١ —

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ .

« إنا » من مقام عظيم جودنا ، لعموم عبادنا ، قد . . .

« أنزلناه » أى : القرآن ، المبين لهم طريق النجاة ، عن نيران الجهالات وأودية الضلالات

« فى ليلة القدر » الغيبى ، التى لا اطلاع لأحد عليها إلا علام

الغيوب ، لذلك أبهمها سبحانه على حبيبه صلى الله عليه وسلم فقال . .

— ٢ —

وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ .

أى : أى شئ أعلمك من مقتضيات بشريتك ولوازم ناسوتك « ما ليلة القدر » إذ هي خارجة عن مدارك عالم الناسوت ، ومشاعر سكانه مطلقا

ثم بينها سبحانه على مقتضى أفهام البشر ومداركهم فقال . . .

— ٣ —

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ .

من أيام عالم الشهادة ولياليه إذ . . .

— ٤ —

تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ .

« تنزل الملائكة » أى سكان السواد الأعظم اللاهوتى

« والروح » الأمين ، المدبر لأمور أرواح أشباح عالم الناسوت

« فيها » أى فى تلك الليلة ونزولهم فيها إنما هو

« بإذن ربهم » الذى يأمرهم بالنزول فيها ومع كل منهم

« من كل أمر » من الأمور الإلهية الجارية فى عالم الشهادة

— ٥ —

سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ .

« سلام » تفويض وتسليم من قبل الحق ، يسلم لهم سبحانه حكمه، ويفوض إليهم أمره ، حسب حكمته المتقنة ، ومصلحته المستحكمة ، ليقوم كل منهم به ، ويحسن تدبيره على الوجه الذى أمر به ، وبالجملة ...

« هى » أى حالهم وشأنهم هذا وهكذا

« حتى مطلع الفجر » أى : إلى طلوع شمس الذات الإلهية ، المفنية بأشعتها الذاتية ، عموم أضواء الأظلال والعكوس ، المنعكسة منها مطلقا

كأن ليلة القدر التى قد سترت فى خلال ليالى السنة ، أو فى ليالى شهر رمضان ، أو فى ليالى العشر الأخير منه — على ما قيل — هى حاكية ممثلة ، من تلك الليلة القدرية الغيبية العمائية اللاهوتية

لذلك ما عينها الشارع وما عرفها ، بل أبهمها وأخفاها

قيل : يقدر فى تلك الليلة عموم أحوال تلك السنة ، وجميع مايجرى فيها من الحوادث الكائنة

كما أن فى أصلها ومنشئها التى هى ليلة القدر الغيبية قد قدر فيها عموم المقادير الكائنة أزلا وأبدا

لذلك من وجدها وأحياها فقد فاز بخير الدارين .

سورة البينة

مدنية — وآياتها ٨ — نزلت بعد الطلاق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » المظهر لطريق الحق بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب والآيات

« الرحمن » لعموم عباده بإيضاح البينات

« الرحيم » لخواصهم ، بإيصالهم إلى أعلى المقامات وأرفع الدرجات

— ١ —

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ .

« لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب » يعنى : اليهود والنصارى.

« والمشركين » أى : عبدة الأصنام والأوثان

«منفكين» أى لم يكونوا زائلين منفصلين ، فى حين من الأحيان عن الإيمان والاعتقاد بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ أهل الكتاب آمنوا بنبوته حسب ما وجدوا فى كتبهم المنزلة عليهم ، والمشركون سمعوا من أسلافهم وكهنتهم وصفه ونبوته ، فاعتمدوا بعثته فآمنوا به ، ولم يزالوا على هذا الاعتقاد

« حتى تأتيهم البينة » على مقتضى سنة الله ، فظهرت الحجة الواضحة ، والبينة والبرهان القاطع الساطع ، وتلك البينة والبرهان القاطع

— ٢ —

رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً .

« رسول » مرسل

« من الله » مؤيد من لدنه ، بالآيات الواضحة ، والبينات اللائحة المصححة

« يتلو » عليهم

« صحفاً » وأسفاراً محفوظة ، مسورة معجزة

« مطهرة » عن مطلق الرذائل(١) ، بحيث لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، إذ هى منزلة من حكيم عليم

— ٣ —

فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ .

« فيها » فى خلالها ومطاويها

« كتب قيمة » أى : مكتوبات صادقة حقية ، مملوة من الأوامر والنواهى والأحكام المتعلقة بدين الإسلام ، صادقة فى نفس الأمر ، مطابقة للواقع ، مستقيمة لا عوج لها ، ولا انحراف فيها ، ناطقة بالحق الصريح

— ٤ —

وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ .

« و » بالجملة

« ما تفرق » واختلف فى الإنكار والاعتقاد ، والإيمان والكفر

---

(١) مستوى الرجل الفكرى رفيع جداً ... إنه يفسر « مطهرة » بأنها المبرأة عن مطلق الرذائل ... مطلق النقائص ... أى نوراً لا ظلام فيه على الاطلاق !!!

« الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة » يعنى : ما تفرق تلك الأمم عما هم عليه من تصديق النبي الموعود ، إلا من بعد ما ظهر الرسول الموعود ، ولاحت البينة الواضحة الدالة على صدقه فى نبوته ودعوته ، ألا وهو القرآن المعجز المبين لشعائر الإسلام

وبالجملة ، قد اختلفوا فى شأنه صلى الله عليه وسلم بعد بعثته فمنهم من آمن به على مقتضى ما وجده فى كتابه ، ومنهم من كفر وأنكر عليه عناداً ومكابرة

ولهذا قد حرفوا أوصافه المذكورة فى الكتب السالفة ، مع أنهم لم يجدوا فى دينه وكتابه ما يخالف أحكام كتبهم وأديانهم !

— ٥ —

وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ .

« و » الحال أنهم

« ما أمروا » فى كتبهم

« إلا ليعبدوا الله » الواحد الأحد الصمد ، الحقيق بالحقية والألوهية

« مخلصين » مخصصين

« له الدين » والانقياد بلا إشراك وإلحاد

« حنفاء » مائلين عن مطلق الأديان الباطلة[1]

« ويقيموا الصلاة » المكتوبة لهم ، فى أوقاتها الموعودة المحفوظة

« ويؤتوا الزكاة » المصفية لأموالهم على وجهها

« وذلك » الذى أمروا به فى كتبهم

« دين القيمة » يعنى ملة الإسلام المستقيمة التى قد ظهر عليها محمد صلى الله عليه وسلم ، بلا تغير وانحراف فيه واختلاف

وبالجملة ، هم ما كفروا وأنكروا نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم إلا عناداً ومكابرة ، بلا مستند صحيح لا عقلى ولا نقلى وبالجملة ...

— ٦ —

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ .

« إن » المكابرين والمعاندين

« الذين كفروا » بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم

« من أهل الكتاب و » من

---

(١) أدق وأعمق وأصدق تفسير لكلمة « حنفاء » هو : الاتجاه المباشر إلى الله ...

أى : متجهة قلوبهم إلينا مباشرة ... غير ملتفتين إلى ما سوانا

« المشركين » المعاندين هم داخلون

« فى نار جهنم » التى هى دار الطرد والحرمان

« خالدين فيها » أبداً ، لا يتحولون عنها أصلا ، إلا إلى عذاب فوق ذلك العذاب وأشد منه وبالجملة

« أولئك » الأشقياء المردودون المطرودون عن ساحة عز القبول

« هم شر البرية » وأسوء الخليقة وأردؤهم ، كأنهم مقصورون على الشرارة والرداءة مجسمون منها .

ثم قال سبحانه على مقتضى سنته . . .

— ٧ —

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ .

« إن الذين آمنوا » منهم بوحدة الحق ، وصدقوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقبلوا دعوته ودينه حسب ما وجدوا فى كتبهم ، وسمعوا وصفه من أسلافهم بلا تحريف ولا تغيير

« و » مع ذلك قد

« عملوا الصالحات » المقربة لهم إلى الله ، المرضية عنده سبحانه

« أولئك » السعداء المقبولون عند الله

« هم خير البرية » وأحسن الخليقة

— ٨ —

جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ .

« جزاؤهم » أى أجزئتهم الحسنة ، التى قد استحقوها بإيمانهم وأعمالهم

« عند ربهم جنات عدن » متنزهات علم وعين وحق

« تجرى من تحتها الأنهار » أى : جداول المعارف والحقائق ، الممتدة المترشحة من بحر الحقيقة

« خالدين فيها أبداً » دائمين فيها أمداً سرمداً وبالجملة قد

« رضى الله » المنعم المتفضل العليم الحكيم

« عنهم » وعن أعمالهم ونياتهم وإخلاصهم فيها

« ورضوا » أيضا

« عنـــه » سبحانه بما قسم الله لهم ، وأفاض عليهم ، حسب استعداداتهم وقابلياتهم وبالجملة

« ذلك » الأجر الجزيل ، والرضاء الجميل

« لمن خشى ربه » وخاف عن سخطه وغضبه ، وعن القيام بين يديه ، فامتثل أوامره ، واجتناب نواهيه ، واتصف بالتقوى عن مطلق محارمه ومحظوراته .

سورة الزلزلة

مدنية — وآياتها ٨ — نزلت بعد النساء

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » المدبر لأمور عباده حسب النشأتين

« الرحمن » عليهم فى النشأة الأولى حيث وضع عليهم التكاليف المثمرة لهم خير الجزاء

« الرحيم » لخواصهم فى النشأة الأخرى يجزيهم جزاء الأوفى

اذكر يا أكمل الرسل لمن كذب بالنشأة الأخرى ، وانكر يوم العرض والجزاء كيف وقت . . .

— ١ —

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا .

« إذا زلزلت الأرض » أى : هاجت واضطربت ، بعد ما وصل

إليها الأمر الإلهى ، المتضمن للتحريك والتهييج

« زلزالها » الذى قدره الله لها عند النفخة الأولى

— ٢ —

وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا .

أى : دفائنها ومكنوناتها ، وما فى جوفها من الأموات

— ٣ —

وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا .

« و » بعد ما رأى الناس زلزالها وإخراجها

« قال الانسان » من كمال حيرته وتعجبه

« مالها » أى : ما عرض على الأرض ، وما لحق بها حتى اضطرت إلى الحركة والاضطراب ، مع أنها ساكنة فى حد ذاتها جامدة دائماً(١) ؟ !

... وبالجملة

— ٤ —

يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا .

« يومئذ تحدث » الأرض بإلهام الله إياها

---

(١) يعنى ساكنة فى رأى العين

« أخبارها » أى : الأعمال التى قد عمل عليها بنو آدم

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها ، قال : أتدرون ما أخبارها ؟

« قالوا : الله ورسوله أعلم

« قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها

« أى تقول : عمل علىّ كذا وكذا يوم كذا ، فهذه أخبارها . »

وذلك . . .

— ٥ —

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا .

« بأن ربك » يا أكمل الرسل

« أوحى لها » أى أمرها سبحانه ، وأذن لها بالكلام ، فحينئذ تكلمت وتحدثت ، واذكر يا أكمل الرسل . . .

— ٦ —

يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ .

« يومئذ يصدر » يرجع ويعود

« الناس » عن موقف العرض والحساب

« أشتاتا » متفرقين متحزبين ، حسب مراتبهم فى الحساب ،

كل منهم مع شاكلته

« ليروا أعمالهم » أجزئتهم المعدة لهم فى الجنة والنار

— ٧ —

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ .

« فمن يعمل مثقال ذرة » أى مقدار نملة صغيرة ووزنها[١]

« خيراً يره » أى : ير جزاءه فى الجنة

— ٨ —

وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ .

أى : جزاءه فى النار

---

(١) ذلك أقصى تصورهم للجسيمات الصغيرة ... ولكن علوم الذرة الحديثة قد جاءت بما هو أعلى وأرقى وأعظم من تصور أهل العصور الوسطى ...

مثقال ذرة ؟ ! !

أى : وزن ذرة ... وهى أصغر الأجسام المادية ... وقد أثبت العلم الحديث أن الذرة عالم فيه كل ما فى عالم الشموس فهى عبارة عن نواة تقابل الشمس فى النجوم وتدور من حولها كواكبها !!!

فالله ما أعظم العلم كم كشف من عجائب كتاب الله ؟ !

هذه الآية أحكم آية وأقسطها ، من الآيات الدالة على كمال العدل الإلهى ، وأشملها حكماً

لذلك قال صلى الله عليه وسلم : إذا زلزلت تعدل نصف القرآن

« وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن

« وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن . »

سورة العاديات

مكية — وآياتها ١١ — نزلت بعد العصر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » المدبر لأمور الإنسان ، حتى أوصله إلى مرتبة اليقين والعرفان

« الرحمن » عليه بخلقه على صورته ، ليليق لخلافته

« الرحيم » له ، يربيه ويهديه ، إلى حيث يوصله إلى بحر وحدته

— ١ —

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا .

« والعاديات » أقسم سبحانه بالنفوس القدسية الزكية عن مطاق

الرذائل الإنسية ، وشبهها فى سرعة العدو والجرى بالخيول الجياد ؛ فكأنها تعدو للمجاوزة عن مضائق بقعة الإمكان ، ومحابس نشأة الناسوت[1] نحو فضاء الوجـــــوب ، ومتنزهات عالم اللاهوت[2] ، شوقاً إليها وتحننا نحوها

لذلك كلما قطعت عقبة من تلك العقبات الناسوتية تضبح « ضبحاً » والضبح هو صوت أنفاس الفرس عند العدو

وتلك النفوس أيضا تضبح حينئذ تشوقاً إلى مقعد الوجوب ، وتنفساً عن كروب الإمكان ، وأحزان الهيولى والأركان

— ٢ —

فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا .

أى : النفوس المتحننة المسرعة المستعجلة نحو الموطن الأصلى بالميل الجبلى

سيما بعد الجذب الإلهى المورى بحوافر مراكب الشوق ، المسرعة عند عدوها على أحجار الطبائع وجنادل الهيولى والأركان ، نار المحبة

---

(١) الناسوت : الجسم

(٢) اللاهوت : الروح

والمودة والغرام المفرط ، من شدة تشوقها وتلذذها إلى النيل والوصول ، واستنشاقها من نسائم روائح الحضور والقبول

— ٣ —

فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا .

أى : النفوس التى تغير فى المبادرة والمسابقة نحو عالم اللاهوت[١] ، وتجتهد وتسعى لأن تصل إليه ، قبل كل واحدة من النفوس المبادرة المتوجهة إليها الساعية نحوها

— ٤ —

فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا .

« فأثرن به » وهيجن وحركن فى تلك الأوقات التى وصلن فيها إليه

« نقعاً » غباراً وصياحا لتكون علامة دالة على قربهن ووصولهن

— ٥ —

فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا .

أى : دخلن وتوسطن بذلك الوقت

---

(١) الروح

« جمعاً » من سكان عالم اللاهوت (١) ، المطلقين عن جميع القيود الناسوتية

وبالجملة بحق هذه المقسمات العظام

— ٦ —

إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ .

« إن الإنسان » المجبول على الكفران والنسيان

« لربه » الذى رباه بأنواع الكرم والإحسان

« لكنود » كفور مبالغ فى الكفران والطغيان

— ٧ —

وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ .

« وإنه » أى الإنسان نفسه

« على ذلك » أى : على كفوريته وكنوديته

« لشهيد » لظهور آثار الكفران والطغيان عليه دائماً ، وصدور أنواع البغى والعدوان عنه مستمراً

وبالجملة هو نفسه شاهد على كفره وكفرانه ، وشركه بالله وطغيانه، إلى حيث يلوح أثر عصيانه عليه ساعة فساعة

---

(١) الروح

— ٨ —

وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ .

« وإنه » من شدة بغيه وعدوانه وغفلته عن الله وعن إحسانه

« لحب الخير » أى : المال والجاه والثروة والسيادة المبعدة له عن كنف مولاه

« لشديد » قوى مبالغ فيه ، مباه به ، حريص فى طلبه ، متعب نفسه فى تحصيله وحبه

وما هذا **إلا من** غاية كفرانه بنعم الله ، وحرمانه عن مقتضى كرمه سبحانه ، وضعف يقينه بفضل الله ، وموائد إنعامه وإحسانه

— ٩ —

أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَافِي الْقُبُورِ .

« أفلا يعلم » ولا يدرك ولا يشعر ، الإنسان الكفور الكنود ، المحب للجاه والمال وقت

« إذا بعثر » أى بعث ونشر وحشر

« ما فى القبور » من الموتى

— ١٠ —

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١) .

« وحصل » أى : جمع وميز

« ما فى الصدور » من المكنونات والمضمرات خيراً كان أو شراً

— ١١ —

إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ .

« إن ربهم » الذى أظهرهم من كتم العدم ، ورباهم بأنواع الكرم

« بهم » وبعموم ما جرى عليهم من شؤنهم وتطوراتهم

« يومئذ » وهو يوم القيامة التى فيها تبلى السرائر وتكشف الضمائر

« لخبير » وبصير بعموم ما جرى عليهم فى نشأة الاختبار خيراً كان أو شراً ، فيجازيهم على مقتضى علمه وخبرته ، بلا فوت شىء من ذلك

ومع علمه سبحانه بهم وبما صـــدر عنهم يعملون عملا سيأ يؤاخذون عليه !

---

(١) المراد : ما فى القلوب ...

سورة القارعة

مكية — وآياتها ١١ — نزلت بعد قريش

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » المتصف بالقهر واللطف ، حسب النشأتين

« الرحمن » على عموم المطيعين من عباده ، فى النشأة الأولى

« الرحيم » على المخاصين منهم فى النشأة الأخرى ، يوصلهم إلى أقصى درجات النعيم

— ١ —

الْقَارِعَةُ .

أى : الساعة الموعودة المعهودة التى تقرع الأسماع من هولها وهيبتها ، وتدهش العقول من شدتها وصولتها

ثم أبهمها سبحانه تهويلا فقال . . .

— ٢ —

مَا الْقَارِعَةُ .

المذكورة ، وأية شىء هى ؟ !

ثم أبهمها مرة أخرى مخاطباً لحبيبه صلى الله عليه وسلم تأكيداً لتهويلها ، ومبالغة على تفظيعها فقال . . .

— ٣ —

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ .

« وما أدراك » وأعلمك يا أكمل الرسل

« ما القارعة » العجيبة الشأن ، الفظيعة العظيمة الهائلة المهولة ؟ !

ثم عد سبحانه لوازمها وما يترتب عليها لينتقل منها إليها

وإنما أشار سبحانه بهذه الطريقة أيضا إلى شدة هولها وفظاعتها ،

فيكون تهويلا وتأكيداً على تأكيد ، ومبالغة غب مبالغة

اذكر يا أكمل الرسل لمن تذكر واتعظ . . .

— ٤ —

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ .

أى : كالطير المتهافت المتساقط على النار من شدة اضطرابه

يعنى : يكون الناس يومئذ مثل الفراش المتفرق فى الجهات من غاية الاضطرار والاضطراب ، بحيث لا يتمالكون على نفوسهم ، بل يركب بعضهم فوق بعض ، ويطأ بعضهم بعضاً ، من غاية خشيتهم ورعبهم وازدحامهم

— ٥ —

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ .

« وتكون الجبال » يومئذ من كمال قهر الله وغضبه

« كالعهن المنفوش » أى : كالصوف الملون المندوف ، تطير

فى جو الهواء يمنة ويسرة ، وبالجملة . . .

— ٦ —

فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ .

« فأما من ثقلت » يومئذ

« موازينه » أى : رجحت مقادير حسناته على مقادير سيآته

— ٧ —

فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ .

« فهو » يومئذ

« فى عيشة » هنيئة مريئة

« راضية » صاحبها عنها

— ٨ —

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ .

« وأما من خفت » يومئذ

« موازينه » أى من خفت حسناته وثقلت سيآته

— ٩ —

فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ .

« فأمه » أى : مستقره ومأواه الذى يأوى إليه يومئذ

« هاوية » هى من أسماء جهنم

ثم أبهمها سبحانه تهويلا وتفظيعاً فقال . . .

— ١٠ —

وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ .

أى : الهاوية

ثم فسرها ليكون ادخل فى التهويل فقال . . .

— ١١ —

نَارٌ حَامِيَةٌ .

أى : ماهية الهاوية وحقيقتها نار ذات حمى وحرارة ، بحيث قد انتهت فى الحرارة والسخونة غايتها

سورة التكاثر

مكية — وآياتها ٨ — نزلت بعد الكوثر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » المتجلى بكمالاته فى الإنسان ، ليربيه على نشأة الإيمان والعرفان

« الرحمن » عليه بأنواع اللطف والإحسان ، ليتوجه نحوه سبحانه فى عموم الأحيان

« الرحيم » له يهديه إلى مرتبة الكشف والعيان

— ١ —

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ .

أى : شغلتكم المفاخرة والمباهاة بكثرة الأموال والأولاد ، أيها المنهمكون فى بحر الغفلة والضلال ، عن توحيد ربكم وطاعته ، وقد كنتم أنتم على هذا طول عمركم

— ٢ —

حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ .

« حتى زرتم » ولحقتم

« المقابر » وصرتم فيها أمواتا أمثالهم

وبالجملة ما صدر عنكم ما جبلتم لأجله طول دهركم ، حتى متم وخرجتم عنها بلا ترتب حكمة المعرفة ومصلحة الإيمان

قال سبحانه ردعاً لهم وتهديداً

— ٣ —

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ .

ان أمركم وشأنكم ما هذا التكاثر والتفاخر ، وستعلمون غداً ما يترتب عليه

— ٤ —

ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ .

ان الأمر ليس كذلك

كرره تأكيداً ومبالغة فى التهديد والوعيد ، وتهويلا للموعود

ثم سجل عليهم سبحانه جهلهم وضلالهم رادعاً لهم بقوله . . .

— ٥ —

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ .

« كلا » يعنى ما تتكاثرون ولا تتفاخرون وتتباهون بهذه الزخرفة الفانية الدنية أيها الجاهلون المكابرون

« لو تعلمون علم اليقين » أى : لو علمتم يقيناً علمياً ، وصدقتم تصديقاً قلبياً أنكم

— ٦ —

لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ .

لما تكاثرتم ولا تفاخرتم بما تفاخرتم ، وما خطر ببالكم أمثال هذه الخواطر الكاذبة

الا أنكم جاهلون ذاهلون غافلون عن رؤيتها ، بل أنتم منكرون لها أيها المسرفون المفرطون لذلك قد كنتم تفتخرون وتتكاثرون بالحطام الدنية الدنياوية ، وتستلذون بلذاتها الفانية وشهواتها الغير الباقية

ثم كرر سبحانه أمر الرؤية تهويلا عليهم ، وتنصيصا على وعيدهم فقال . . .

— ٧ —

ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ .

« ثم لترونها » أى الجحيم المعدة لتعذيبكم

« عين اليقين » أى : يقينا عينياً ، حين تعاينونها وترون منازلكم فيها

— ٨ —

ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ .

« ثم لتسألن » وتحاسبن أيها الناس الفاسقون لعهود الحق ومواثيقه « يومئذ عن النعيم » الفانى الذى قد شغلكم عن الحق ، وألهاكم عن طاعته وعبادته ، وصرفكم عن النعيم المقيم ، فحينئذ ظهر عندكم خطأ آرائكم ، وفساد أهوائكم ، التى قد كنتم عليها فى النشأة الأولى ، ولا يفيدكم ظهورها لانقضاء زمان التدارك والتلافى .

سورة العصر

مكية — وآياتها ٣ — نزلت بعد الشرح

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ .

« بسم الله » الذى خلق الإنسان على صورته ليتخلق بأخلاقه

« الرحمن » عليه حيث أظهره من كتم العدم ، ورباه بأنواع اللطف والكرم

« الرحيم » عليه يهديه إلى صراط مستقيم موصل إلى توحيده

— ١ —

وَالْعَصْرِ .

أقسم سبحانه بالعصر والدهر ، الذى هو عبارة عن بقاء الوجود الأزلى الأبدى ، ودوامه السرمدى المنبسط ، الممتد من أزل الذات إلى أبد الأسماء والصفات [1]

ألا وهو حبل الله الممدود ، والعروة الوثقى ، التى لا انفصام لها ، فى عين الشهود

— ٢ —

إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ .

« إن الإنسان » المجبول على فطرة المعرفة والإيمان حسب حصته اللاهوتية

« لفى خسر » عظيم وخيبة بينة ، بسبب اشتغاله بما لا يعنيه من لوازم بشريته المتعلقة بحصة ناسوته .

— ٣ —

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ .

---

(١) تأمل كيف مد الرجل مفهوم الزمن مداً عجيباً !!!
فهو عنده « الممتد من أزل الذات إلى أبد الأسماء والصفات » !!!
أى مطلق الزمن ... مطلق الأبدية !!!
فما أعلى المستوى الذى منه يتحدث ... ما أعلاه !!!

« إلا الذين آمنوا » بوحدة الحق ، وتفطنوا لاستقلاله سبحانه في التصرفات الجارية في ملكه وملكوته

« و » هم مع الإيمان والإذعان قد

« عملوا الصالحات » الدالة على إخلاصهم ويقينهم في إيمانهم ونياتهم

« و » ذلك قد

« تواصوا بالحق » أي : أوصى بعضهم بعضا بسلوك طريق الحق وتوحيده إرشاداً وتنبيهاً

« وتواصوا » أيضا

« بالصبر » على مشاق الطاعات ، ومتاعب الرياضيات الطارئة عليهم ، من قطع المألوفات الإمكانية ، وترك اللذات والمستلذات البهيمية اللازمة للقوى البشرية .

سورة الهُمَزة

مكية — وآياتها ٩ — نزلت بعد القيامة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » المتجلى بعموم كمالاته في مظهر الإنسان

« الرحمن » عليه بأنواع الكرم والامتنان

« الرحيم » بخواص عباده حيث خلقهم بأخلاقه الحسان ويسر لهم طريق العرفان

— ١ —

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ .

« ويل » عظيم ، وهلاك هائل شديد

« لكل » فرد من أفراد الأقوام

« همزة » وهو الذى يمشى بين الناس بالهمز وكسر العرض ، وقد صارت له هذه الديدنة القبيحة عادة راسخة وملكة مستمرة ، وأيضا لكل . . .

« لمزة » وهو الذى يطعن فى أنساب الأنام ، وينسبهم إلى أنواع البغى والآثام ، افتراء ومراء ، وما حداه وحمله على هذه الخصلة القبيحة ، والفعلة المستهجنة الوقيحة ، الا ثروته وماله وسيادته وجاهه وهو . . .

— ٢ —

الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ .

« الذى جمع مالا » وأمتعة كثيرة من الزخارف الدنية الدنياوية ، التى قد مالت قلوب أبنائها إليها بالطبع

« وعدده » أى : جعل ماله عدة عموم النوائب والنوازل ، وخيل أنه يردها به وقت إلمامها(١)

— ٣ —

يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ .

بل « يحسب » ويظن

« أن ماله أخلده » أى : أدام وأبقى ماله نفسه ، وجعله مخلداً فى الدنيا مستمراً فيها أبداً ، بحيث لا يطرأ عليه زوال وانتقال أصلا ، فقد اغتر بماله وجاهه إلى حيث قد خيل له الخلود به فيها ، والدوام عليها بطراً وغروراً !

ثم قال سبحانه . . .

— ٤ —

كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ .

« كلا » ردعاً له عن حسبانه واغتراره هذا ، وخطأ رأيه وطغيانه يعنى : من أين يتأتى ويتيسر له الخلود والدوام فيها ؟ !

---

(١) لفتة رائعة فى تفسير « عدده » أى أعده ليواجه به مشكلات الحياة ويدفعها عنه بالمال دفعا ... وهو مذهب هذا العصر المادى البحت ، الذى يرى المال هو كل شىء ! !

والله « لينبذن » ويطرحن ذلك المفسد المفرط يوم الجزاء

«في الحطمة» أي : النار التي من شأنها أنها تحطم ، أي : تكسر

وتفني من يطرح فيها.

ثم أبهمها سبحانه تهويلا فقال . . .

— ٥ —

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ .

المعدة لتعذيبه ؟

ثم فسرها لكونه أدخل في التهويل والتفظيع فقال . . .

— ٦ —

نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ .

المسعرة

— ٧ —

الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ .

« التي تطلع » وتعلو

« على الأفئدة » والأكباد ، أي حرقها وإيلامها غير مختص

بظواهر الجلود ، بل يسرى إلى الأعماق والبواطن أيضا

كما أن أثر الهمز واللمز اللذين هما سبب التعذيب بهذه الحطمة

يشمل ظواهر الناس وبواطنهم ، كذلك الجزاء المترتب عليهما ،
وبالجملة ...

— ٨ —

إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ .

« إنها » أى : النار الموقدة الإلهية

«عليهم مؤصدة» أى : مطبقة عليهم ، محيطة بهم ، حافة بجوانبهم وحواليهم ، وهم حينئذ مشدودون موثوقون بأيديهم وأرجلهم

— ٩ —

فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ .

أى : أعمدة وأخشاب طوال مثقوبة ، مربوطين من أعناقهم بالسلاسل والأغلال

ألا وهى مصورة لهم من سلاسل الآمال وأغلال الأمانى ، التى هم مقيدون بها فى سجن الإمكان .

سورة الفيل

مكية – وآياتها ٥ – نزلت بعد الكافرون

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

« بسم الله » القادر المقتدر على عموم ما دخل فى حيطة حضرة علمه المحيط ، وإراداته الكاملة

« الرحمن » لعموم عباده ، حيث دبر أمورهم حسب الحكمة المتقنة البالغة

« الرحيم » لهم يوصلهم إلى الدرجة الرفيعة اللاهوتية

— ١ —

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ .

« ألم تر » ولم تعلم ، يا أكمل الرسل ، يقيناً علمياً حاصلا لك من طريق السمع ، إلى حيث قد وصل إلى مرتبة اليقين العينى ، من كثرة السماع والاستماع من الثقاة العدول وتكرره

« كيف فعل ربك » الذى رباك يا أكمل الرسل لرسالته ، وأظهر دينك على الأديان كلها ، ونصرك على عموم أعدائك بقدرته الغالبة

« بأصحاب الفيل » وهو جيش أبرهة بن الصباح الأشرم ، ملك

اليمن ، من قبل أصحمة النجاشى ، قصد هدم الكعبة عمرها الله ، فخرج مع جيشه ومعه فيل كثير ، وفيها فيل عظيم جسيم ، فى غاية الجسامة ، مسمى بمحمود ، قد كانوا يأمرون بهدم البنيان العظام فيهدمها فى الحال ولذا سموه بهذا الإسم

وسبب هذا القصد أن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء فسماها القليس ، فعزم أن يصرف الحاج من مكة إليها ، فلما انتشر الخبر ذهب رجل من كنانة إلى القليس ذات ليلة فتغوط فيها ولطخ بها محاربها ، فوصل الخبر إلى أبرهة فغار غيرة شديدة فحلف : والله لأهدمن الكعبة !

فخرج مع جيشه وفيله ، حتى وصل إلى حوالى الحرم ، وأراد أن يأمر الفيل بهدمها ، فبرك ولم يبرح

فضربوه وشددوا عليه ، فلم يفد ، وهم قد كانوا إذا وجهوه إلى جهة غير جهة البيت هرول وأسرع ، وأما إلى نحوها فلا يمشى قط !

فصاروا متحيرين فى شأنه كما قال سبحانه . . .

— ٢ —

أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ .

« ألم يجعل كيدهم » الذى كادوا به لهدم البيت وصرف الزوار عنه ، نحو بيتهم الذى قد بنوا كيف صار

« فى تضليل » ضياع وهلاك وخسار وبوار

— ٣ —

وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ .

« و » كيف لا يكون سعيهم فى الضياع والخسار إذ

« أرسل » سبحانه بمقتضى قدرته الغالبة

« عليهم طيراً أبابيل » أفواجاً كثيرة متفرقة متفوجة ، من جنس واحد من الطير ، مع كل واحد منها ثلاثة أحجار

— ٤ —

تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ .

« ترميهم » يعنى ترمى الطير جيش أبرهة

« بحجارة » متخذة

« من سجيل » هو معرب سنك وكل(١)

— ٥ —

فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ .

« فجعلهم » من كثرة ما ترميهم بها

---

(١) السجيل : الطين المتحجر ، أى حجارة كبريتية قاتلة لفورها .

« كعصف مأكول » أى : كتبن يأكله الأنعام ويدوس فيه
فيفرقه الرياح
أى : صاروا من شدة غضب الله عليهم هباء منثوراً .

سورة قريش

مكية – وآياتها ٤ – نزلت بعد التين

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » المظهر للكل من كتم العدم
« الرحمن » على الكل بأنواع الكرم
« الرحيم » عليهم بإلزام العبودية والذمم
تعجبوا أيها المعتبرون . . .

– ١ –

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ .

أى : ائتلافهم وتألفهم فيما بينهم واتفاقهم على أن ينصرفوا عن حوالى بيت الله حين . . .

– ٢ –

إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ .

« إيلافهم » واتفاقهم على الظعن والارتحال

« رحلة الشتاء والصيف » يعنى : يرتحلون فى كل سنة مرتين ، مرة فى الشتاء نحو اليمن ، ومرة فى الصيف إلى الشام

وما كان الباعث على ترحالهم إلا فقد الزاد فى مكة ، إذ هى بواد غير ذى زرع ، فيشق عليهم الأمر ، فيتجرون فى كل سنة مرتين ، فشكره الله منهم هذا وأمرهم بالعكوف والإقامة حول بيته بقوله . . .

— ٣ —

فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ .

وليعتكفوا فى حواليه ، وليتوكلوا عليه ، ولا يتجروا ، إذ هو القادر المقتدر

— ٤ —

الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّن خَوْفٍ .

« الذى أطعمهم » وأشبعهم

«من جوع» قد شملهم وأحاط بهم ، حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة

« وآمنهم من خوف » لحقهم من أعدائهم مراراً ، ببركة هذا البيت

فلهم أن يسكنوا فى حواليه ، متوكلين على ربهم ، وهو يكفى لهم مؤنة أرزاقهم أيضا بحوله وقوته فيما سيأتى ، كما قد كفى لهم فيما مضى .

سورة الماعون

مكية — وآياتها ٧ — نزلت بعد التكاثر

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » الذى وضع الدين بين الأنام ليهديهم إلى دار السلام

« الرحمن » عليهم بإنزال التكاليف والأحكام

« الرحيم » إليهم يوصلهم إلى أعلى المكانة وأرفع المقام

— ١ —

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ .

« أرأيت » أى : هل عرفت وأبصرت يا أكمل الرسل ، المعاند المكابر

« الذى يكذب بالدين » أى : بيوم الجزاء والحساب الموعود ، لتنقيد الأعمال والأفعال الجارية فى نشأة الاختبار ؟

— ٢ —

فَذَٰلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ .

« فذلك » المكذب المنكر هو

« الذى يدع » ويدفع بالعنف المفرط

« اليتيم » الذى جاءه لينفق من ماله الذى قد كان عنده ، لكونه

قيما وصيا له

قيل : هو الوليد بن المغيرة ، وقيل : غيره

— ٣ —

وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ .

« و » ما ذلك إلا من غاية بخله وخساسته وإمساكه المفرط

« لا يحض » ولا يحث أحدا

« على طعام المسكين » وإطعامه ، يعنى : هو لا يطعم أحداً ،

ولا يرضى أيضاً بإطعام الغير إياه ، من شدة شحه وإمساكه

هذا امارة تكذيبه وتكذيب أمثاله بالدين والجزاء بحسب

الظاهر ، وأما بحسب الباطن ...

— ٤ —

فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ .

« فويل » عظيم ، وعذاب أليم

« للمصلين » المكذبين بيوم الجزاء ، المنكرين بمعالم الدين المستبين ، لأنهم هم المسرفون المفرطون

— ٥ —

الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ .

« الذين هم عن صلاتهم » المفروضة لهم فى الأوقات المحفوظة « ساهون » غافلون لا يحافظون عليها فى أوقاتها المعهـــــودة المحفوظة لها ، ولا يواظبون على إقامتها فيها ، بل هم المنافقون . . .

— ٦ —

الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ .

بها على رؤس الملأ ، ويتركونها فى خلواتهم لعدم اعتدادهم واعتقادهم بها ، وبما يترتب عليها من الجزاء

— ٧ —

وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ .

« و » مع تهاونهم وتكاسلهم فى الصلاة ، التي هى من أقوى أعمدة الدين ، وأعلى مراسم التوحيد واليقين

« يمنعون الماعون » أى : الزكاة المهذبة لنفوسهم عن الشح المستهجن والتقتير المستقبح ، المسقط للمروات والفتوات ، المؤدية إلى عموم الخيرات والحسنات

سورة الكوثر

مكية — وآياتها ٣ — نزلت بعد العاديات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » المتجلى على حبيبه صلى الله عليه وسلم بعموم كمالاته ، ليكون هو مرآة له سبحانه ، كى يترا آى منه صلى الله عليه وسلم آثار جميع أسمائه الحسنى وصفاته العلياء

« الرحمن » على عموم الأنام ، ببعثته صلى الله عليه وسلم إليهم حتى يهديهم إلى دار السلام

« الرحيم » للخواص منهم ، يرشدهم إلى التوحيد الذاتى ، الذى هو المنجى من ظلمات الأوهام

— ١ —

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ .

« إنا » من مقام عظيم جودنا ومحض كرامتنا

« أعطيناك » يا أكمل الرسل ، إعطاء وهب وكرامة ، وفضل وامتنان

« الكوثر » الذى هو عبارة عن التحقق بوحدة الذات ، والانكشاف بها ، والوقوف عليها

وبعد ما أعطيناك وخصصناك بالكرامة ، التى لم نعط أحداً من الأنبياء والرسل الذين مضوا قبلك

— ٢ —

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ .

« فصل لربك » ودم أنت على التوجه نحونا ، واخلص فيه ، واستقم عليه

« وانحر » بدنة ناسوتك ، بعد ما وصلت إلى كعبة الذات ، وفزت بعرفات الأسماء والصفات ، تقرباً إلينا ، وتوصلا لحمى قدس لاهوتنا

ولا تلتفت فى ميلك وتوجهك إلى هذيانات من يشينك ويعيبك من الجهلة المكابرين

— ٣ —

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ .

« إن شانئك » الذى يشينك ويبغضك فى شأنك وأمرك هذا « هو الأبتر » المقطوع العقب ، منقطع الأثر والذكر ، وأثرك يبقى ويدوم إلى قيام الساعة

سورة الكافرون

مكية — وآياتها ٦ — نزلت بعد الماعون

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ .

« بسم الله » المطلع لما فى ضمائر عموم عباده من الهداية والضلال « الرحمن » عليهم بإرسال الرسل يدعوهم إلى سبيل السلامة والرشد

« الرحيم » لهم يوصلهم إلى خير المنقلب والمآب

— ١ —

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ .

« قل » يا أكمل الرسل منادياً لمن دعاك إلى عبادة الآلهة الباطلة

« يا أيها الكافرون » الساترون شمس الحق ، الظاهرة فى الأنفس والآفاق ، بغيوم هوياتكم الباطلة

— ٢ —

لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ .

« لا أعبد » أى : لا أنقاد ولا أتوجه أنا ، سيما بعد ما وفقنى الله إلى توحيده الذاتى ، وهدانى نحو شمس ذاته ، وشرفنى بمطالعة وجهه الكريم ، وخصصنى من بين عموم مظاهره ومصنوعاته ، بهذه الكرامة العليـة

« ما تعبدون » أنتم أيها الجاهلون ، من الآلهة الباطلة ، والاظلال الهالكة العاطلة ، قد اتخذتموها آلهة من تلقاء أنفسكم أنتم وآباؤكم ، مع أنه ما أنزل الله بها من سلطان حجة وبرهان ، بل ما تتبعون أنتم وآباؤكم فى اتخاذكم هذا إلا الظن وما تهوى الأنفس ، من غير ورود الهداية والإرشاد من قبل الحق

— ٣ —

وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ .

« ولا أنتم » أيضا

« عابدون ما أعبد » من الحق الوحيد الفريد ، الحقيق بالإطاعة

والعبادة بالاستحقاق ، إذ لا إله فى الوجود معه ، ولا شىء يماثله حتى يشارك معه ، فى أخص أوصافه التى هى الألوهية والربوبية ووجوب الوجود

إذ ليس فى وسعكم واستعداداتكم الإيمان به ، والإيقان بوحدته وباستقلاله فى ملكه وملكوته ، ومع ذلك ما وفقكم الحق عليه وما أقدركم به

— ٤ —

وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ .

« و » بالجملة

« لا أنا عابد ما عبدتم » إذ هى لا يليق بالعبودية والمعبودية حتى أعبد له

— ٥ —

وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ .

« ولا أنتم » أيضا

« عابدون ما أعبد » إذ لا يتيسر لكم الإيمان به ، والاطلاع على وجوده ، والاتصاف بمعرفته وشهوده

فكيف تعبدون أنتم الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، بلا جذب من جانبه ، وتوفيق من لدنه ؟ !

وأنا أيضا لا أعبد لمعبوداتكم الباطلة ، التى هى بمراحل عن رتبة الألوهية والمعبودية ، وبالجملة . . .

— ٦ —

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ .

« لكم دينكم » الذى أنتم عليه ، وطريقكم الذى تتوجهون إليه ، بعد ما لم يوفقكم الحق على الهداية والإيمان

« ولى دين » الذى أنا عليه

وبالجملة لا تتركون دينكم بدينى ، وما أنا أيضا بتارك دينى بدينكم

بل لكم دينكم ولى دينى ، والتوفيق بيد الله والهداية والضلال

سورة النصر

نزلت بمنى فى حجة الوداع ، فتعد مدنية ،
وهى آخر ما نزل من السور — وآياتها ٣ —
نزلت بعد التوبة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » المدبر لأمور حبيبه صلى الله عليه وسلم على الوجه الأكمل الأحكم

« الرحمن » عليه بنصر أوليائه ، وقهر أعدائه

« الرحيم » له حيث فتح عليه أبواب الفتوحات الغيبية والشهادية ، والفيوضات اللدنية الفائضة عليه من عالم اللاهوت

— ١ —

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ .

« إذا جاء نصر الله » أى : إذا جاءك يا أكمل الرسل وعد الله الذى قد وعدك به ، أن ينصرك على جميع أعدائك ، ويظهر دينك على الأديان كلها

وقد جاءك أيضا الفتح الذى أخبرك الحق بقوله : إنا فتحنا لك فتحا مبيناً

وبعد ما جاءك النصر

« والفتح » الموعود ، آن لك وكمل ظهورك واستيلاؤك على عموم الأعادى ، وظهر دينك على سائر الأديان الباطلة والآراء الفاسدة

— ٢ —

وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا .

« ورأيت الناس يدخلون » حينئذ

« فى دين الله أفواجاً » فوجاً فوجاً ، فرقة فرقة ، بعد ما كانوا يدخلون فيه فرادى فرادى

— ٣ —

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا .

« فسبح بحمد ربك » يا أكمل الرسل ، شكراً لما أعطاك جميع ما وعدك ، وفتح عليك الآفاق ، وأتم ببعثتك وظهورك محاسن الشيم، ومكارم الأخلاق على الإطلاق

« واستغفره » واطلب منه الرجوع إلى من عن نوره صدرت ، لأنك مظهر أسراره وأنواره ، وإليه يرجع الأمر كله بعد إظهاره

« إنه كان تواباً » رجاعا لأوليائه إلى مستقر قدسه وحضرة أنسه

وبعد ما نزلت هذه السورة ، وأمر سبحانه حبيبه صلى الله عليه وسلم فيها بالحمد والاستغفار

اغتم الأصحاب وحزنوا ، إذ قد فهموا منها أن أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قرب

فودعه الحق ، وأمره بالحمد والاستغفار

وما عاش صلى الله عليه وسلم بعد نزوله إلا أياماً قلائل

لذلك سموا هذه السورة سورة التوديع أيضا .

سورة المسد

مكية — وآياتها ٥ — نزلت بعد الفاتحة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله » الغنى بذاته عن عموم مظاهره ومصنوعاته

« الرحمن » عليهم بإفاضة الوجود

« الرحيم » عليهم حيث يوصلهم إلى مرتبة الكشف والشهود فى اليوم الموعود ، لو أخلصوا فى التوجه والطاعات ، نحو الخلاق الودود

— ١ —

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ .

« تبت يدا أبى لهب » أى : قد خابت وخسرت خيبة أبدية وخسرانا سرمديا

بحيث قد هلكت فى نار القطيعة نفس الجهنمى ، الذى يداه كناية عن نفسه

وذلك لأنه من غاية نخوته وغروره ، وشدة بطره وشروره ، ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنواع المنكر والمكروه ، وعارضه على وجه لا يليق بشأنه صلى الله عليه وسلم ، اتكالا على ماله وجاهه ورياسته بين أمته

وذلك أنه لما نزل الآية الكريمة (وأنذر عشيرتك الأقربين) صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إلى الصفا فنادى : يا بنى فهر ، يا بنى عدى ، لبطون قريش ، حتى اجتمعوا فقال : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى يريد أن يغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ ، قالوا : نعم ما جربنا عليك إلا صدقا ، قال : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ، فقال أبو لهب على سبيل الاستهزاء ، تبًّا لك يا محمد ،

لهذا جمعتنا ؟ ! ، فنزلت (تبت يدا أبى لهب) بمجادلته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرائه معه

وقصد استحقاره واستهانته إياه صلى الله عليه وسلم

« و » قد

« تب » وهلك ذلك اللعين المفرط على الوجه الذى أخبر الله بهلاكه إلى حيث

— ٢ —

مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ .

« ما أغنى » ودفع

« عنه ماله » الذى اتكل عليه واستظهر به شيأ من غضب الله

« و » ما نفع له ونصره

« ما كسب » وجمع وادخر ، من الأموال والأولاد والأعوان والأتباع

قيل : مات بالعدسة بعد وقعة بدر بأيام معدودة ، وترك ثلاثة أيام حتى أنتن ، ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه

فهو إخبار عن الغيب ، وقد وقع هذا على وجهه فى النشأة الأولى

— ٣ —

سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ .

« سيصلى » ويدخل ذلك اللعين

« ناراً ذات لهب » واشتعال ، من شدة سورتها والتهابها وصولتها وفظاعتها

— ٤ —

وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ .

« وامرأته » التى كانت تمشى بالنميمة بين الناس ، وتوقد نيران الفتن والعداوة بينهم أيضا ، بل تصير هى حينئذ

« حمالة الحطب » لنار جهنم تحتطب لها من الضريع والزقوم

أو : هى حمالةُ الحطب فيها — على قراءة الرفع — يعنى : صورت نميمتها التى قد مشيت بها فى دار الدنيا بإيقاد نار الفتن على هذه الصورة ، فتلازمها دائماً

— ٥ —

فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ .

« فى جيدها » وعنقها

« حبل » سلسلة متخذة

« من مسد » مفتول ، قد فتل من الحديد ، تحمل بها الحطب ، مع أنها من أشرف قريش ، أي وزوجها أيضا

سورة الإخلاص

مكية — وآياتها ٤ — نزلت بعد الناس

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » الذى لا يكتنه ذاته ، بمدارك مظاهره ومصنوعاته مطلقا

« الرحمن » عليهم ، بتوصيف ذاته إياهم

« الرحيم » لخواصهم ، حيث يهديهم إلى سرائر معرفته وتوحيده

— ١ —

قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ .

« قل » يا أكمل الرسل لمن يسأل منك بقوله : صف لنا ربك الذى تدعونا إلى الإيمان به وعبادته

« هو الله أحد » أى : هو الذات المتصفة بالألوهية الغيبية

والشهادية ، الجامعة بينهما ظاهراً وباطناً ، المتعالية عن كليهما ، بحسب الذات المتصفة بالألوهية والربوبية ، ووجوب الوجود ، المستجمعة لجميع شرائط الكمال ، حسب الأسماء والصفات ، الكاملة الكامنة ، فى تلك الذات المتصفة بالأحدية المطلقة ، المنزهة عن التعدد والكثرة مطلقا ، المستقلة فى الوجود والحياة والقيومية المطلقة ، المستلزمة للديمومية والبقاء الأزلى الأبدى السرمدى ، لا يكال بقاؤه ودوامه بمطلق الموازين والمقادير ، ولا يحيط به وبقيوميته مطلق التدابير والتقادير (١)

فكيف كان سبحانه محلا للتقدير إذ هو . . .

— ٢ —

اللَّهُ الصَّمَدُ .

---

(١) أشهد أن لا إله إلا الله . . . وأن هذا الرجل قد آتاه الله ما آتاه !!!

اقرأ هذه الأغرودة الخالدة مرة ... ومرات ... ومرات ... فإنها من أعلى وأغلى وأرقى وأكمل ما صدر عن عبد فى وصف مولاه !!!

إن الرجل قد دخل بحر الحقيقة ... فهو يصف مالا يوصف من صفات ربه تبارك وتعالى !!!

وكم أحب أن نضع تلك اللوحات العلى تحت أعين جيلنا المعاصر .. رجالا ونساء .. كبارا وصغارا ... ليقرأوا ويعجبوا : كيف يستطيع أحد الناس أن يغرد باسمه تعالى تلك الأغرودة العليا ، التى تموج بأعلى علالى العلوم موجا !!!

أى : السيد السند ، الذى يقصد نحوه ، ويرجع إليه عموم ما ظهر وما بطن ، من الكوائن الفاسدة الكائنة فى نشأتى الغيب والشهادة ، والأولى والأخرى

وهو فى ذاته مستغن عن جميعها مطلقا

وكيف لا يكون مستغنيا إذ هو الله الأحـــد الفرد الصمد القيوم الذى . . .

— ٣ —

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ .

« لم يلد » ولدا ، إذ الإيلاد إنما هو للمعاونة والمظاهرة ، أو للاخلاف وخوف الانعدام والانقضاء وهو سبحانه بمقتضى قيوميته واستقلاله بحوله وقوته ووجوب وجوده ، ودوام بقائه لا يطرأ عليه أمثال هـذه النقائص الإمكانية المستلزمة لضبط العاقبة والمآل ، إذ لا يجرى عليه سبحانه انقضاء وانتقال ، ولا يلحقه زوال وارتحال

« و » كذلك

« لم **يولد** » لذلك ، إذ كل ما ظهر وبطن أزلا وأبداً ، إنما هو منه وإليه وبه وله وفيه ، وكل ما فرض من الموجود أزلا وأبداً ذهناً

وخارجاً ، غيباً وشهادة ، ما هو خارج عن حيطة أظلال أسمائه وعكوس صفاته

فكيف يتصور أن يسبقه شيء هو غيره ، مع أنه لا غير في الوجود ولا شيء سواه موجود مطلقا حتى يلده ؟ ! !

— ٤ —

وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ .

« و » بالجملة هو سبحانه منفرد فى توحده ، متوحد فى انفراده وتفرده ، ومستقل فى استقلاله بحيث

« لم يكن له كفواً أحد » لا قبله ولا بعده ولا معه ، بل لا إله سواه ، ولا موجود غيره

سورة الفلق

مَكيّة — وآياتها ٥ — نزلت بعد الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » المراقب على محافظة خلص عباده ، من جميع ما يضرهم ويؤذيهم ، بعد ما رجعوا إليه وتعوذوا به مخلصين

« الرحمن » عليهم بإنزال الرقى وتلقين الدعاء

« الرحيم » لهم حيث يبرؤهم ويشفيهم ، بعد ما أخلصوا فى التعوذ والالتجاء

— ١ —

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ .

« قل » يا أكمل الرسل بعد ما أصابتك من سحر أعدائك مصيبة ، وعرضتك بشؤم أعينهم عارضة ، إزالة لها ، ودفعاً لضررها

« أعوذ » وألوذ مخلصا

« برب الفلق » أى : الذى فلق وشق ظلام الليل المظلم بنور الصبح المنير ، وفلق ظلمة العدم بإشراق نور الوجود

— ٢ —

مِن شَرِّ مَا خَلَقَ .

« من شر » جميع

« ما خلق » فى عالم الكون والفساد ، من النفوس الخبيثة

— ٣ —

وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ .

« و » كذا ألوذ به سبحانه

« من شر » كل

« غاسق » مظلم محيل

« إذا وقب » دخل وانغمس فى ظلامه ليحيل ويمكر

— ٤ —

وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ .

« و » كذا

« من شر » عموم الساحرات

« النفاثات » النفاخات بريق أفواههن

« فى العقد » التى يعقدن على الخيط ليسحرن الناس بها

— ٥ —

وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ .

« و » بالجملة أعوذ برب الفلق

« من شر » كل

« حاسد إذا حسد » وقصد أن يحسد ، فإنه سبحانه يكفيك مؤنة شرورهم عنك بحوله وقوته

سورة الناس

مكية – وآياتها ٦ – نزلت بعد الفلق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« بسم الله » المدبر لمصالح عباده بمقتضى جوده

« الرحمن » عليهم يحفظهم عما يبعدهم عن كنف حفظه

« الرحيم » عليهم ينبههم على ما يضرهم ويغويهم ، ليتمكنوا في الدين القويم ، ويترسخوا على الصراط المستقيم

— ١ —

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ .

«قل» يا أكمل الرسل ، وبعد ما مكنك الحق فى مقعد التوحيد ، وهداك للوصول إلى ينبوع بحر الحقيقة ، التى هى الوحدة الذاتية ، ملتجأ إلى الله ، مستمسكا بعروة عصمته

« أعوذ » وألوذ

« برب الناس » الذى أظهرهم من كتم العدم ، ورباهم بأنواع اللطف والكرم

— ٢ —

مَلِكِ النَّاسِ .

ومتولى أمورهم

— ٣ —

إِلَٰهِ النَّاسِ .

إذ ظهور الكل منه ، ورجوعه إليه ، ولا مالك لهم سواه ، ولا إله غيره

— ٤ —

مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ .

« من شر الوسواس » الموسوس المثير للفتن فى قلوب الناس

« الخناس » الدفّاع الرجّاع للناس عن نور الهداية والفلاح ، إلى ظلمات البدع والضلال

— ٥ —

الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ .

« الذى يوسوس » دائماً

« فى صدور الناس » ويلقى فى روعهم ما يغويهم عن طريق الحق ويغريهم إلى الباطل الزائغ الزائل

وهذا الخناس الموسوس فى صدور الناس قد يكون . . .

— ٦ —

مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ .

« من الجنة » أى : من جنس الجن ، يوسوس على الإنس ، من طرق الوهم والخيال ، فيضله عن الصراط المستقيم

« و » قد يكون من جنس

« الناس » أيضاً ، يوسوس من طرق الحواس

إذ بعض النفوس الخبيثة الإنسية ، يضل بعض الضعفاء عن طريق الحق ، ويوقعهم فى فتنة عظيمة وعذاب أليم .

خاتمة

لعلك قد آنست منى صدقاً ... حين نبأتك فى مقدمة الكتاب أن المؤلف يغرف من بحار لدنية !!

ولقد مضى أمام عينيك تفسير جزء عم ... من أوله إلى آخره ... فهل وجدت فيه من مغمز يؤخذ على الرجل ... أو وجدت فيه لغواً من القول أو زوراً ؟!

اللهم لا ... وإنما تتواصل إشعاعات النور فى الكتاب ... ثم تتماوج من أدناه إلى أعلاه ... ومن أعلاه إلى أدناه ...

معلنة أن الرجل قد استطاع ... بإذن ربه ... أن يفجر من الطاقات الرهيبة ... المكنونة فى الآيات الكريمة ...

فانشطرت ... ثم انتثرت ... ثم انفجرت ... فكان منها بحار من الأنوار !!!

ولا تعجل ... فتعجب !!!

فإن الله إذا أعطى ... فاق عطاؤه سبحانه ... ما خطر على القلوب ! ! !

ومن أعجب العجب فى أسلوب ذلك الرجل ... أنه بلغ الغاية من السلاسة والبساطة والنفاسة ... فى آن ...

تقرؤه ... فكأنك تقرأ فى صحافة اليوم ...

مع أنه ألفه منذ خمسة قرون ... فى عصور الإسراف فى المحسنات اللفظية ...

فلا تجد فيه جدلا ... ولا هوًى ... ولا عصبية ذميمة ... ولا حواراً بغيضاً ...

وإنما صفاء ... فى صفاء ... فى صفاء ...

وتلك عناصر النور دائماً وأبدا ...

فالقلوب التى فى مقامات النور ... تلتقط من كلام ربها أعلى الموجات ... ثم ترسل إلى الغير انفعالاتها بتلك الموجات العُلَى ...

والجديد فى هذا التفسير أنه ينقلك إلى أبعاد بعيدة جداً ...

تهش لها قلوب أهل النور ... هشًّا هشًّا ...

فليس هو تفسير من تلك التفاسير التى تقف عند الظاهر ... القريب من الأفهام ...

وإنما يغوص الرجل إلى أعماق الأعماق ... ويرتفع إلى آفاق الآفاق ...

فإذا به يعلن فى الآية رأياً جديداً ... فينقلك إلى ما وراء العقول !!!

ورغم خطورة ما يقدمه إليك ... فإنه يؤديه إليك ... فى خشوع ... وبساطة ... وبراءة من حب الظهور !!!

ولو أن رجلا غيره ... فتح الله عليه ما فتح ... لأخذه زهو العلماء ... وفخر الذين أوتوا ما لم يتيسر للآخرين ...

ولكنه ليس كذلك ...

بل هو يؤدى ما يؤدى ... فى صمت ... وتواضع ...

كأنه لم يصنع شيئاً !!!

وتلك صفات الأولياء الأصفياء ...

يدركون أن ما بهم من نعمة ... فمن الله ...

فلا يرون أنفسهم ... وإنما يرون ربهم سبحانه ...

فمهما يصدر عنهم من جلائل الأعمال ... وفواتح ربانية كالجبال ... فإنهم لا يرون أن شيئاً من ذلك لهم ... وإنما الأمر كله لله !!!

أولئك الذين اصطفاهم الله ... ثم أورثهم الكتاب ...

أولئك الذين علم الله ما فى قلوبهم ... فأمدهم على قدر استعدادهم ...

إنى أحب ذلك الرجل ...

أحبه ... لأنه مثال بديع ... للعالم الربانى ... وكيف يكون ؟!

ليس من أولئك الببغاوات ... التى تنعق بما لا تعقل ...

وليس من أولئك الذين يريدون بعلمهم أن يصرفوا وجوه الناس إليهم ...

وإنما هو رجل ... عرف ربه ...

فانطلق إليه وحده ...

غير ملتفت إلى ما سواه ...

فتقبله ربه بقبول حسن ...

وأفاض سبحانه عليه ...

كلما طوى الرجل ... فى سيره إلى ربه مقاماً ...

فتح الله تعالى ... عليه ... المقام الذى من بعده ...

فذاق من عجائب آيات ربه ... ما ذاق ! ! !

ثم وجد الرجل ... أن عنده شراباً طهوراً ... يجب عليه أن يذيقه لمن استطاع من الناس ... ليجدوا حلاوته ...

فألقى إليهم بتفسير كامل لكتاب الله تعالى ...

ألقاه من قلبه ...

لم يرجع فيه إلى مرجع ... أو إلى كتاب ... أو إلى أستاذ ...

فجاء فذاً ... وحظاً ... عظيما من كشف مفاهيم جديدة من كتاب الله ! ! !

ولا تحسبن أن الكتاب الأصلى للمؤلف ، كان كهذا الذى بين يديك ...

وإنما تجد التفسير الصادر عن الرجل عبارة عن سطور تتتابع وتتزاحم ، بدون فواصل أو تنسيق يناسب أذواق قراء اليوم ...

كأنما هو أكوام من الجواهر الكريمة النادرة ... أبقيت من غير إبداع فى تقديمها إلى الناس ...

وكانت مهمتى أن أتقدم إلى تلك الجواهر ... فأخرجها إخراجاً حديثاً ... يمضى مع أحدث أساليب عصر الفضاء ...

فبدأت ... فجعلت رقم الآية فى أوسط السطر ... لتكون

فاصلا وعنوانا لكل آية ... ودليلا على الآية سريعاً ...

ثم سجلت نص كل آية بعد رقمها ... لتكون مرجعاً ظاهراً لعموم الآية ...

ثم بعد ذلك ... وضعت ما جاء عن الرجل فى تفسير كل آية ...

ثم جعلت من الفواصل ، فى تفسير الآية ... ما يعطى للقارىء توزيعاً للمعانى ... وتنسيقاً ...

وبذلك سطعت شموس الآيات ... آية فآية ...

فما عليك إلا تنظر نظرة عابرة إلى أى مكان من الكتاب ... فإذا بك فوراً أمام ما تريد من تفسير أى آية ...

وكان ذلك توفيقاً من الله وتيسيراً ...

وتحقيقاً لقوله سبحانه : « ولقد يسَّرْنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكِر » ؟ !

فاللهم ... تفضّل ... وتقبّل ... ممن ألّف الكتاب ...

واللهم ... تفضل ... وتقبل ... ممن حقّق ونسّق الكتاب ...

واللهم ... تفضل ... وتقبل ... ممن ... طبع ونشر الكتاب ...

واللهم ... تفضل ... وتقبل ... ممن قرأ ووعى الكتاب ...

ثم اللهم ... صلِّ وسلمِّ ... على النبى الكريم العظيم ...

الذى كان من علماء أمته ... ذلك المؤلف العجيب ؟

محمود شلبي

فهرس

مقدمة	٣
من هو المؤلف ؟	٦
سورة النَّبَأ	١٠
سورة النازعات	٢٨
سورة عَبَس	٤٨
سورة التكوير	٦٤
سورة الانفطار	٧٧
سورة المطفّفين	٨٧
سورة الانشقاق	١٠٤
سورة البروج	١١٥
سورة الطارق	١٣٧
سورة الأعلى	١٤٦
سورة الغاشية	١٥٦
سورة الفجر	١٦٦
سورة البلد	١٨٠

سورة الشمس	١٨٩
سورة الليل	١٩٧
سورة الضُّحى	٢٠٤
سورة الشرْح	٢١١
سورة التين	٢١٦
سورة العَلَق	٢١٩
سورة القَدْر	٢٢٩
سورة البَيِّنَة	٢٣٢
سورة الزَلزَلة	٢٣٩
سورة العاديات	٢٤٣
سورة القارعة	٢٤٩
سورة التكاثر	٢٥٣
سورة العصر	٢٥٦
سورة الهُمَزَة	٢٥٨
سورة الفيل	٢٦٣
سورة قُرَيْش	٢٦٦
سورة الماعون	٢٦٨

سورة الكوثر ٢٧١
سورة الكافرون ٢٧٣
سورة النصر ٢٧٧
سورة المسد ٢٧٩
سورة الإخلاص ٢٨٣
سورة الفلق ٢٨٦
سورة الناس ٢٨٩
خاتمة ٢٩٣

ماذا في هذا الكتاب ؟

فيه .. بدائع .. روائـع .. إمام .. ربـاني .. عظيم

إذ يفسر ... الجزء الاخير ... مـــن القرآن العظيم !!

فتتلألأ .. منه انوار .. واسرار .. لا تخطر عـــلى قلب

بشر !!

ذلك ... فضل الله ... يؤتيه... من يشاء !!!

دار المعرفة

ص. ب. ٥٧٦٩

بيروت ـ لبنان

الثمن ٤٠٠ ق.ل. او ما يعادلها